قربان أخير

محمود وهبة

WAHBA

ساحر الكتب

(١)

حائط كبير ممتلئ بصور ضحايا من الرجال والنساء قبل وبعد ذبحهم ، اعمارهم مختلفة و طبقاتهم الاجتماعية متباينة ، اكبرهم سنا ٥٠ عام واصغرهم ٢٢ عام ، طريقة الذبح كانت قاسية للغاية كادت أن تفصل رأس احد الضحايا عن باقى الجسد ، جرائم القتل تعود الى شخص واحد من دون شك ويرجح انه "ذكر فى ريعان شبابه "كما جاء فى تقرير الطبيب الشرعي ، يستخدم يده اليسرا بمهارة كبيرة للغاية ، جميعهم ذبحوا بنفس اداة الجريمة.

اخذ يقلب عينيه على جميع الصور محاولا ايجاد رابط بين الضحايا ، دخن الكثير من السجائر حتى امتلآت الغرفة بالضباب واصبحت الرؤية شبه منعدمة ، طرق أحدهم الباب ثم فتح الباب ودلف الى الغرفة وهو يصدر سعال متكرر وقال لذلك الشاب الجالس خلف مكتبه يرتدى بدلة ضابط ويحمل ثلاثة نجوم اعلى كل كتف وهو مازال ينظر الى الصور بتمعن...

_انت بتنتحر ولا اية يا مراد باشا ؟.

نظر النقيب (مراد) الى من كان يتحدث ثم عاد بنظره الى ذلك الحائط الذى يمثل اكبر لغز قابله طوال حياته المهنية ، تحرك ذلك الشاب واخذ يفتح الشبابيك كى يخرج الدخان المتكتل فى كل ارجاء الغرفة ثم عاد ليجلس امام المكتب من الطرف الاخر وقال..

_انت شكلك كنت بايت هنا من امبارح ، اية يا مراد هى اول قضية تكون صعبة هتمر علينا ولا اية؟

امسك مراد بعلبة السجائر من اعلى المكتب فوجدها فارغة ، طبقها بعصبية ثم تركها مكانها وقال...

_معاك سجاير؟

اخرج ذلك الشاب علبة سجائر جديدة واعطاها الى مراد الذى امسك بها وسحب سيجارة واشعلها وقال...

_فى حاجة غريبة اوى يا سراج فى القضية دى ، مفيش اى رابط بين اى ضحية والتانية ، القاتل بيختار بعشوائية ودة مش منطقي ، كل التحقيقات والتحريات اثبتت أن كل المجني عليهم عمرهم ما قابلوا بعض حتى لو صدفة، انت متخيل يعنى ايه ٨ جرائم قتل تحصل بالسرعة دى وبنفس الاداة ولناس مفيش بينهم اى علاقة ، القاتل بيقتل من اجل القتل وبس ، مش ذى اى حاجة

شوفناها او حتى سمعنا عنها او درسناها ايام الكلية ، مفيش سرقة او اعتداء جنسي ولا جزء من الجثة مفقود و لا حتى علامة بيسيبها في اى مكان.
نظر سراج الى الحائط ودقق فى الصور لبعض الوقت ثم قال...
_مريض نفسى اكيد ، انت ليه مش عايز تصدق كلام دكتور علاء ؟، الراجل دة كل يوم بيشوف مجرمين وفعلا بيكون الدافع المرض النفسى.
تحرك مراد من خلف مكتبه ووقف مقابل لحائط يمثل كل حيرته وقال...
_دة محترف يا سراج ، عنده مخطط ومحدد كويس هو عايز اية ، مش ممكن يكون المرض النفسى الدافع ورا الجرايم دى.
انهى كلماته ثم عاد مسرعا وجلس خلف مكتبه واخرج ٨ ملفات وقال...
_سراج احنا لازم نلاقى رابط بين ال٨ ملفات دى ، مش هنمشى من هنا قبل ما نلاقى الرابط دة.
اخذ سراج نفس عميق ثم زفره وقال..
_ماشي يا مراد ، لما نشوف.
بدأوا فى قراءة كل ملف على حدى ومراجعة التحريات والتحقيقات واقوال الشهود عسى أن يجدوا ما يساعد فى حل تلك القضية ، بعد مرور عدة ساعات قال (مراد..(
_سراج انا عايز اعيد التحقيقات تانى فى كل ملف لوحدة ، حاسس ان فى حاجة غلط كدة.
اخرج سراج سيجارة واشعل واحدة ثم اعطى ثانية لمراد وقال..
_هنستفيد اية يا مراد ، ما احنا حققنا وسمعنا اقوال شهود وكل حاجة.
اخذ مراد نفس من السيجارة ثم اخرج دخان كثيف وقال...
_معلش يا سراج هنفتح كل الملفات تانى من الاول ، انا هجيب موافقة من القيادة وانت هات اذن مباحث بتفتيش كل مسارح الجرايم و فتح التحقيقات من جديد.
وقف سراج فى نفاذ صبر ثم غادر المكتب تاركا مراد يقرا ملف اول الضحايا وكان يحمل اسم (هارون قاسم العليلى.(
****
فى اليوم التالى اتجه النقيب (مراد) وبرفقته النقيب (سراج) ومعهم اذن من النيابة بتفتيش محل ارتكاب الجريمة الاولى وكان ضحيتها (هارون) صاحب ال٥٠ عام وقد كان يمتلك محل عطارة وهو نفسه مكان ارتكاب الجريمة حيث

وجدوه مذبوح هناك ومغلق عليه من الخارج ولم يستدل على اى بصمات حتى بعد رفع الكثير من بصمات رواد المحل والتحقيق معهم خرجوا جميعا من محل شكوك الضابطين والنيابة.
توقفت السيارة وهبط منها مراد يتقدمه عدة عساكر ، ازالوا الشمع عن المحل وفتحوا القفل وتركوا المجال ل(مراد) و(سراج) وقاموا بمنع الناس من التجمهر حول المكان.
اضاء مراد انوار المحل واخذ يتفحص كل جزء بداخله ، وجد صورة تجمع (هارون) بأسرته كلها اخرج هاتفه الجوال وصورها ثم نظر الى بقعة الدماء التى تغطى مساحة كبيرة من الارض ، تحرك بمحاذاتها ثم دخل الى المخزن بحث بداخله جيدا واخذ بعض الصور ، بعد غروب الشمس كان قد انتهى الضابطين من التفتيش ثم عادوا الى مكتبهم.
طبعوا كل الصور التى تم التقاطها داخل المحل واخذوا يدرسونها واحدة تلو الاخرى حتى اصابهم الارهاق ولم يصلوا الى شيئ بعد ، نظر مراد الى كل الصور بأحباط ثم توقف فجأة عن تفحصهم واختار واحدة كانت تجمع (هارون) بكل افراد عائلته ، امسك بها وقال...
_سراج انت متأكد اننا سمعنا اقوال كل عيلة هارون؟
نظر سراج الى الصورة وقال...
_اه يا مراد ، مراته وبناته التلاتة و ابنه الكبير على.
ثم تنبه الى وجود احد اخر داخل الصورة وقال...
_ثوانى كدة مين دة اللى معاهم فى الصورة ...انا متأكد اننا مخدناش اقواله و كمان انا متأكد انه عندة ٣ بنات وولد والتحريات اكدت دة.
نظر الى مراد فوجده ينظر اليه مباشرة وقال...
_انا عايز اعرف مين الواد اللى فى الصورة دة يا سراج ، هو اكيد حد من قرايبه لانه معاه فى صورة عائلية ذى دى ، اعرف مين دة وعاوزه هنا بكرة الصبح على مكتبى..فاهم يا سراج؟
وقف سراج وهو ممسك بالصورة وقال..
_حاضر يا مراد ..بكرة الصبح يكون هنا وبيتحقق معاه ، انت طلعت صح لما فتحنا التحقيق تانى ، ممكن يكون الواد دة ورا الجرايم كلها.
ابتسم مراد ثم قال..

_مش شرط يا سراج ، المهم ان فكرتى طلعت صح فى حاجات ناقصة فى القضية وهتكمل كل ما نعيد تحقيق فيها وكل ما نعاين اماكن الجريمة من تانى...اه وكمان انا عايز الدكتورياسر ..محتاج اسأله كام سؤال.
خرج سراج من المكتب واغلق خلفه تاركا مراد ينظر الى الحائط المبهم ثم وقف ووضع علامه مميزة على صورة (هارون) وعاد ليجلس من جديد وفتح ملف اخر بضحية الثانية كان يحمل اسم (سماح جاد المولى.(
****
فى صباح اليوم التالى توقفت سيارة امام احدى المبانى الامنية وهبط منها (مراد) بوجه مبتسم بعد ان نال قسطا من الراحة فى الليلة السابقة بعد ان توصل الى شيئ جديد فى القضية ، دخل الى المبنى الامنى وسط التحيات العسكرية ، اتجه الى مكتبه وقبل أن يدخل لمح بطرف عينيه شاب يقف بجانب المكتب برفقة احد العساكر.
دخل الى مكتبة وفتح كل الشبابيك ثم اشعل سيجارة وبدأ فى تدخينها ، طرق احدهم الباب فنظر اليه مراد ليرى سراج يدخل الى المكتب وبرفقته الطبيب الشرعي (ياسر.(
اشار لهم مراد ان يجلسوا واتجه هو الى خلف مكتبه ثم صمت دقائق وقال..
_اذيك يا دكتور ياسر ؟ اخبارك اية؟
ابتسم ياسر من خلف نظارة مجاملا وقال..
_الحمد لله يا مراد باشا.
نظر مراد الى سراج ثم الى ياسر وقال...
_انا عاوز منك خدمه بس مش عايزك تكون مضايق ...انا عارف طبيعة شغلك كويس ومدى الضغط النفسى اللى بتقابله ,بس دة شيئ ضرورى جدا.
امسك ياسر بنظارته بطريقة لا ارادية ثم قال..
_لو فى امكانى يبقى تحت امرك اكيد.
ابتسم مراد وقال...
_فى امكانك يا دكتور ...بص انا عايزك تخرج كل الجثث ال٨ وتعيد فحصهم من جديد ، انا هجيبلك كل التصاريح اللازمة وهعمل دة على مسؤليتى ، اطمن هخلى مسؤليتك.
نظر ياسر الى مراد بخوف وقال..

_انت عاوزنى افتح القبر واخرجهم ؟ بس انا شرحتهم قبل الدفن وكتب تقارير عن كل حاجة ممكن تتكتب.
اقترب مراد من المكتب اكثر وقال...
_انا عارف انت قد اية شاطر فى شغلك ، انا مقصدش دة خالص ولا اقدر اشكك ، انا بس عاوزك تبص مرة تانية ، تدور عن حاجة مختلفة بين ال٨ جثث ، انا مش عارف ممكن تكون اية لكن متأكد انك هتلاقى حاجة مخدناش بالنا منها.
اومأ ياسر برأسه دليلا على الموافقة وقال...
_التصاريح هتكون عندى امتى ؟ احنا كل ما بدأنا اسرع كل ما كانت الجثث فى حالة افضل للتشريح فاهمنى؟
نظر سراج الى مراد ثم الى ياسر وقال...
_خلال الاسبوع دة ان شاء الله هكون معايا التصاريح.
كانت معالم الصدمة جلية على وجه ياسر وقال...
_انا هبدأ فى تشريح الجثث حسب الاقدمية يعنى من اول ضحية لحد اخر ضحية بترتيبهم عشان حالة الجثة تمام؟
ابتسم مراد وقال...
_ذى ما تحب ..انت عارف شغلك اكتر ،المهم يا دكتور نوصل لحاجة جديدة ، دى اخر فرصة لينا عشان نحل القضية دى.
وقف ساير وغادر المكتب وهو يمسح نظارته ويتمتم ببعض الكلمات ، فور خروجه نظر ياسر الى مراد وقال...
_انت شايف ان الاجراء دة ليه فايدة ، حرمة الميت يا مراد؟
انفعل مراد وقال...
_هتكون الحرمانيه اكتر لو سيبنا اللى قتلهم يفلت من عقابه يا سراج ، انا عارف ان فتح القبر و تشريح جثة مدفونة من فترة حاجة صعبة بس احنا معندناش اختيار.
وقف سراج وقال الواد اللى انت طلبت التحقيق معاه برة ، طلع ابن اخو (هارون) اسمه (سالم توفيق قاسم العليلى) وبصراحة انا معتقدش انه ليه يد فى حاجة ، طبيعى انه يكون فى الصورة لان عمه اللى مربيه والفترة اللى فاتت التحريات بتقول انه كان فى الصعيد.
نظر مراد الى سراج وقال...

_متسبقش الاحداث يا سراج ، خليه يدخل ونبقى نشوف ليه علاقة بالجريمة ولا لآ.
خرج سراج لدقائق ثم دخل من الباب شاب متوسط القامة ، اسمر البشرة فى عقده الثالث من العمر ، يبدو عليه التوتر ، نظر اليه مراد وقال...
_اذيك يا سالم ، البقية فى حياتك فى عمك هارون ، مالك متوتر كدة ، اتفضل اقعد ، احنا هندردش شوية مع بعض وهتروح علطول.
اشار له مراد أن يجلس ، اقترب سالم من المكتب وجلس وهو يقلب نظرة ما بين النقيب مراد والنقيب سراج ثم وقع ناظره على الحائط ، على صورة عمه الذبيح ، دمعت عينه وقال...
_تحت امرك.

(٢)

اغلق النقيب (سراج) باب المكتب واتجه ليجلس امام (سالم) الذى نظر اليه بتوجس وحذر ثم دخل من بعده أمين شرطة ليدون الاقوال ، اخرج النقيب (مراد) سيجارة ومد يده بها الى (سالم) الذى اشار انه لا يدخن فأشعلها هو وقال..

_انت واضح انك من الناس اللى بتخاف على صحتهم ، بس هيجى يوم وهتشرب سجاير ، كلنا بيمر علينا اليوم دة.

حاول (سالم) الابتسام ثم فشل وقال بنبرة قلقة...

_هو انا هنا ليه يا فندم؟ هو انا متهم بحاجة؟

نظر الضابطين الى بعضهم ثم قال مراد...

_لا انت مش متهم بحاجة يا سالم بس احنا محتاجين ناخد اقوالك فى كام حاجة وهتروح علطول.

طرق الباب عسكرى ودخال الى المكتب يحمل ثلاثة فناجين من القهوة وكوبين من الماء ، وضعهم اعلى المكتب ثم غادر ، امسك (سالم) بكوب الماء وتجرعه مرة واحده ، رشف مراد من فنجانه ثم قال...

_انت بقى شغال فين يا بشمهندس؟ بتعمل ايه فى الصعيد؟

نظر سالم الى الضابطين وقال...

_انا عندى شركة مقاولات وعندى مشروع بنفذة دلوقتى فى سوهاج ، ببنى مجمع سكنى هناك...اكيد حضراتكم عارفين المعلومات دى مسبقا و عارف انى هنا عشان موت عمي هارون ، بس ليه انا هنا دلوقتى وهو اتقتل من شهر تقريبا.

اعتدل (سراج) فى جلسته وقال...

_انت كنت فين وقت وقوع الجريمة بالظبط يا سالم ؟ يعنى كنت مع مين اليوم اللى اتقتل فيه عمك؟

اخذ سالم رشفة مطولة من القهوة ثم قال...

_كنت فى شركتي مع المهندسين و بنتابع سير اعمال المشروع بشكل طبيعى ، حتى يومها كان فى اجتماع وكل الموظفين شافوني ، هو انا متهم بحاجة؟

تدخل مراد وقال...

_لا يا اخى مش متهم ولا حاجة ، كل الموضوع اننا مخدناش اقوالك ولا شوفناك فى التحقيقات مع اننا عرفنا ان عمك هارون هو اللى مربيك وكان بيعاملك ذى ابنه بالظبط ، وانت ولا حضرت دفنه ولا حضرت تحقيق ولا عزاه شفناك فيه برده ، دى مش غريبة؟
دمعت عين سالم فأمسك بكوب الماء الاخر وشرب منه كى يهدأ وقال بصوت حزين...
_دة صحيح ، اصل انا وعمى هارون كنا على خلاف من وقت طويل و من ساعتها مشفناش بعض ولا كلمنا بعض.
قال سراج معاتبا...
_ودة مبرر يخليك متحضرش حتى دفنته؟
رد سالم من دون تفكير...
_على مكنش هيقبل بوجودى ، فانا خدتها من قاصرها ومجتش ، بس دة كان غصب عنى.
انهى مراد السيجارة واشعل اخرى وقال...
_ممكن تقولنا اية سبب الخلاف يا سالم؟
نظر سالم الى مراد لثوان قليلة ثم قال...
_انا كنت عايز اتجوز حد من بنات عمى وهو رفض لانى كنت لسه متخرج ومعنديش فلوس او حتى مشروع اكسب منه ، طالبته بحق ابويا فى المحل ، طردنى ومن ساعتها وانا قررت ابعد.
دمعت عين سالم وتساقطت بعض الدموع عنوة ، اخرج منديل واخذ يمسح دموعه ثم قال...
_انا على سفر يا فندم عشان لازم اكون فى الشركة بكرة الصبح ، حضرتك خلصت اسئلتك ولا لسة فى اسئلة تانى؟
ابتسم مراد وقال...
_لا احنا كدة تمام يا سالم ، البقية فى حياتك مرة تانية ، امضى بس على اقوالك وتقدر تتفضل.
وقف (سالم) مسرعا وامسك بالقلم بيد مرتعشة ، نظر الضابطين الى يده المرتعشة ، وقع ثم غادر المكتب وتبعه امين الشرطة واغلق خلفة الباب ، امسك (مراد) بورقة الاقوال ثم اعطاها الى (سراج) الذى امسك بها وقال...

_مش قلتلك مش هو يا مراد ، وبعدين دة بيكتب بايده اليمين وتقرير الطب الشرعى قال ان القاتل اشول.
وقف (مراد) وشعر بضيق للحظة ثم اتجه الى الشباك ونظر منه الى الشارع وقال...
_احنا لسه فى الاول ، هنستنى تقرير ياسر و نشوف يمكن يبقى فى جديد ، المهم يا سراج لازم بكرة يكون معانا تصريح تفتيش بيت الضحية التانية (سماح) يمكن نلاقى حاجة هناك.
وقف (سراج) واتجه الى باب الغرفة ثم قال...
_حاضر يا مراد ، بكرة هيكون معايا التصريح ، عايز منى حاجة بقى ، انا مروح ، انت مش هتروح؟.
ادار مراد وجهه الى سراج وقال..
_لا يا سيدى اتفضل انت ، انا لسة قاعد شوية ، هراجع ملف سماح تانى.
****
يافطه رخامية محفور عليها (مدفن عائلة قاسم العليلي) واسفل منها يقف الطبيب الشرعى (ياسر) فى انتظار فتح باب المقابر ، ينتهى -التربي- من فتح الباب ويدخل هو ومن خلفه (ياسر) و مساعده ، يقترب (التربي) من احد المقابر التى تعلو الارض ويقول...
_الحاج هارون مدفون هنا يا بيه.
يشير له ياسر ويقول...
_افتح طيب يا ابنى وخرجلى الجثة عشان نشوف شغلنا.
ثم يمد يده بتصريح الى التربى كى يرفقه الى الدفتر الخاص به ، يحضر المفتاح ويفتح القفل الكبير الصدئ وهو يتمتم ببعض الكلمات التى اعتا ان يقولها كلما فتح قبر ، لم يكن بحاجة الى اضاءة فالشمس فى اوجها ، ازاح الباب الحديدى الثقيل ليطل الظلام من داخل القبر ، يدخل الى القبر بهدوء ثم يصيح بصوت مسموع...
_اعوذ بالله ، اعوذ بالله.
يهرع (ياسر) ومساعده وهم يخرجون هواتفهم ويشغلون الاضاءة العالية ليروا ما يحدث بالداخل ، ليروا منظر مفزع ، لقد كان جثمان (هارون) جالسا مستندا على الحائط ، اخذ التربى يردد الايات ثم اعاد الجثمان الى طبيعته واشار الى احد كى يساعده فى اخراجه فهم مساعد الطبيب وحملوه الى الخارج.

الرائحة كانت قاتله وقاسية على الجميع ، فك (ياسر) الكفن فوجد مشهد جعله يبتعد مسرعا ويتقيأ خارج الحوش ، هدأ من نفسه ، لقد كان مشهد مرعب رغم ما يراه يوميا فى غرفة المشرحة ، تماسك ثم عاد ، اخذ يتابع عمله على ما تبقى من الجثمان واخذ مساعده يصور كل شيئ حتى انتهوا واعاد التربى الجثمان الى الداخل من جديد واغلق عليه جيدا ثم اغلق الفتحات ببعض من خليط (الجبس والاسمنت.(

عندما خرجوا جميعا واغلق التربى الحوش سأله (ياسر) قائلا...

_اللى انا شوفته ده بيتكرر كتير ؟ الجثة كانت قاعدة رغم ان رقبته شبه مقطوعة.

رد الرجل فى خوف وقال...

_القبر اسرار يا بيه ، محدش عارف اية اللى شافه ولا اية اللى حصل ، انا اللى دفنته ومتأكد انى نيمته ذى المرة دى بالظبط ، بس بيحصل اكتر من كدة ، المهم بعد اللى شفناه دة مينفعش يتفتح القبر تانى قبل ٤٠ يوم.

علامات الخوف والذهول كانت تغطى على كل ملامح (ياسر) الذى قال...

_لا ٤٠ يوم ولا ٤٠ سنه ، احنا عملنا اللى علينا خلاص.

بعد مرور ساعة داخل منزله اخرج (ياسر) هاتفه الجوال واجرى اتصال بالنقيب مراد وانتظر الاجابة ثم قال...

_مراد باشا ، انا كنت هناك ، خرجت الجثة و عاينتها تانى ، بص هو مفيش جديد ، عامة التقرير هيكون عندك بكرة الصبح ان شاء الله ، كنت عايز اقولك على احجة هتبان غريبة ، الجثة كانت قاعدة لما فتحنا القبر ، انا مش عارف دة معناه اية بس انا قلت اقولك....انا حاسس بحاجة غلط يا مراد.

اسمتع جيدا الى ما يقال ثم اجاب...

_خلينى افكر كدة واقولك بكرة لما اقابلك.

اغلق هاتفه واتجه الى غرفة نومه ، فتح الباب فوجد كفن بداخله جسد يقف مواجها له ، فزع وعاد الى الخلف ،تعثرت قدمه و وقع ارضا ،اصطدمت رأسه بالارض ثم فقد الوعي.

(٣)

افاق الطبيب (ياسر) على صوت هاتفه الجوال يرن بالحاح ، تحسس موضع الم خلف رأسه ، حاول الاعتدال وهو يبحث عن هاتفه الذى يصدر ذلك الصوت المزعج ، وقف مترنحا وتتبع الصوت ليجده موضوع أعلى منضدة فى الصالة الرئيسية للشقة ، امسك به ووجد رقم النقيب (مراد) وقبل أن يجيب صمت الهاتف ، لقد حاول الاتصال به مرات عديدة ، نظر الى ساعة الحائط فوجدها تخطت الثالثة عصرا ، لقد فقد الوعي لاكثر من ١٢ ساعة من اثر تلك الصدمة ، كاد أن يسقط فجلس على كرسي قريب منه ، مسح على وجهه وحاول تذكر ما حدث بالليلة الماضية ، لقد كان يوم عصيب حقا ، ذلك القبر وتلك الجثة التى كانت تجلس بداخله وكلام التربي عن اسرار القبر جعله فى حالة من الخوف والارتباك ، تذكر ما رآه فى غرفة نومه فى اليلة الماضية ، ازداد رعبه و بدأت يده بالارتعاش ، تحرك بأتجاه الغرفة فى حذر وخوف حتى وصل امام الغرفة ، ذلك المكان الذى ظل موجودا به طيلة الليل مغشيا عليه ، الباب موصد لكنه لم يوصده ، هكذا حدث نفسه ، وضع يده على المقبض ، اخذ نفسا عميقا ثم فتح الباب دفعة واحدة ، لم يكن هناك احد بالغرفة ، هدأت دقات قلبه المتسارعة ، خطى عدة خطوات الى الداخل ثم جلس اعلى الفراش ، مازال مكان تلك الصدمة يؤلمه ، احنى رأسه واخذ يتحسس مكانها فلمح شيئ ما يعبر امام باب الغرفة بسرعة كبيرة.
وقف مسرعا وهرول الى الخارج فلم يجد احد ، بحث فى كل مكان بالشقة وهو يزيح كل الستائر ليدخل الضوء مخترقا كل شبر ، كاد الجنون أن يتملكه ، بحث فى كل مكان تقريبا لكنه لم يجد احد ، لا هناك مكان اخير ، دورة مياة تقبع فى اخر الشقة ، منعزلة تماما ، لم يبحث بها ، اندفع نحوها مسرعا ، فتح الباب ، وقع نظرة على احد ما يقف خلف ستار (البانيو) ، يد احدهم بارزة للغاية ، ابتلع ريقه وقبل أن يأخذ خطوة الى الامام رن هاتفه من جديد ، نظر الى الخارج بوجه يتصبب عرقا وجسدا مشتعل ، عاد بنظرة الى الستار ، اقترب بهدوء ثم ازاح الستار فجأة فلم يجد شيئ.
عاد الى الصالة وامسك بالهاتف فوجده النقيب (مراد) من جديد ، اجاب وقال...
_مراد باشا.
استمع الى النقيب مراد عبر سماعة الهاتف الذى قال...

_اية يا دكتور !!! انت فين من بدرى ؟ التقرير فين؟
جلس (ياسر) وقال...
_معلش انا اصلى لسه صاحى ، التقرير معايا ، انا هلبس واجيلك.
اجابه مراد...
_ماشى ، بس مال صوتك انت كويس؟
مسح ياسر على وجهه وقال...
_لما اجى هحكيلك يا مراد باشا ، انا حاسس ان اعصابى تعبانه شوية مش اكتر ، ادينى ساعة واكون عندك.
رد مراد قائلا...
_ماشى ، انا هستناك عقبال ما تيجى هكون خلصت التحقيق فى قضية سماح، سلام.
اغلق الطبيب (ياسر) الهاتف واتجه الى دورة المياة ، وقف اسفل المياة ولم يغمض عينه من الخوف ، انهى استحمامه سريعا وارتدى ملابسه ثم اتجه الى سيارته وبيده التقرير.
****
خرج اخر المحققين معه فى قضية (سماح) الضحية الثانية من مكتب التحقيقات والتى وجدت مقتولة داخل شقتها التى تحيا بها هى واختها التى تكبرها ببضعة اعواد ، اكتشفتها بعد أن عادت من الشغل لتجدها مذبوحة وملقاة ارضا.
جلس (سراج) امام (مراد) على الطرف الاخر من المكتب وقال..
_نفس الاقوال يا مراد متطابقة ١٠٠ فى ١٠٠ ، الناس مستغربة اننا حققنا معاهم تانى ومفيش جديد حتى نقوله لهم ، انت لسة مصمم نفتش بيتها تانى؟
اغلق (مراد) ملف القضية امامه وقال...
_طبعا يا سراج ، هنروح ونفتش تانى ، هنعمل دة فى ال٨ قضايا وهنشرح ال٨ جثث ، اكيد هنلاقى حاجة ، اه ممكن نكون شايفين شغلنا كويس لكن دة مش معناه اننا اخدنا بالنا من كل تفصيلة ، سراج انا عاوزك تساعدنى مش كل شوية تقعد تفرملنى كدة.
حاول (سراج) شرح وجهة نظره فطرق الباب ودخل من خلفه الطبيب النفسى (علاء) ذلك الشاب طفولي الملامح ، قصير القامة ، هادئ الطباع ، دخل الى المكتب مبتسما وقال...
_هو انا كل ما اجى هن الاقيكم دايما مشدودين.

قال تلك الكلمات وسلم على الضابطين فقال مراد..
_انت عارف يا دكتور علاء طبيعة شغلنا ، طول الوقت ضغط وتفكير ، دى حقوق ناس ، المهم انت جيت فى وقتك.
نظر (علاء) الى (مراد) وكأنه يتفحصه ثم قال...
_انا جيت بناء على طلبك ، خير؟
ابتسم مراد وقال...
_ايوة بس فى وقتك ، احنا فتحنا التحقيق تانى فى ال٨ قضايا وهنطلع ال٨ جثث تانى وهنشرحهم من جديد.
انقبض وجه (علاء) ثم نظر الى (سراج) وقال...
_طبعا انت مش موافق على دة صح؟
ابتهج (سراج) وقال...
_قوله يا دكتور علاء والنبى ، دة مضيعه للوقت ، قوله.
قابله (علاء) برد غير متوقع وقال...
_مراد باشا صح يا حضرة الظابط ، تفكيرة سليم جدا ، هو مش عايز يسيب ثغرة واحدة فى ال٨ قضايا مخدش بالة منها ، بس هو فى حاجة لازم تعرفها.
اقترب (مراد) من المكتب مصغيا فأكمل (علاء... (
_انت لازم تقتنع أن القاتل دة مريض نفسى مش قاتل محترف ، عشان تبدأ تفكر صح وتقيم تصرفاته وتتوقعها لو فى جريمة تانية حصلت ، ومتستبعدش انه القاتل يكون مخطط لجريمة جديدة قريب.
ارتعب الضابطين من تلك الجملة ثم اخرج (مراد) سيجارة وبدأ فى تدخينها ووقف مبتعدا كأنه يرفض التفكير فى ذلك الامر ثم قال...
_ماشى مريض نفسى ، انا استفدت اية يا دكتور ؟ اية اللى اتغير؟
رد (علاء) مسرعا...
_الدوافع ..الدوافع اتغيرت يا مراد باشا ، قاتل محترف متسلسل بيقتل لمجرد القتل صعب تتوقع خطوته الجاية لانه بيقتل بعشوائية ، انما قاتل بدافع مرض نفسى مختلف تماما ، هنا بقى فى قاسم مشترك فى كل الضحايا ، القاسم دة ممكن يكون عبارة عن عقدة كبيرة عند القاتل ، صفة مشتركة ، موقف حصل معاهم.
اخذ سراح نفسا وقال...
_تقصد اية يا دكتور؟

ابتسم علاء وقال...
_اللى اقصده ان التحريات والتحقيقات اثبتت ان مفيش اى علاقة بين اى ضحية التانية وانهم عمرهم ما اتقابلوا عشان كدة احنا مرتبكين وتايهين ، و كل الاحتمالات بتقول انه قاتل بيختار عشوائي ودة مصعب الامور جدا ، لكن خلينا نفترض ان العلاقة المشتركة بين كل الجرايم هو القاتل نفسه ، كلهم كانوا يعرفوة وكلهم سببوا ليه مشكله نفسية عشان كدة قتلهم...لازم تدورا كويس وتعرفوا مين الشخص دة ، مين اللى كل الضحايا كانوا يعرفوة و اتعاملوا معاه ، دوروا على الشخص المفقود دة بين الاحداث واكيد هتلاقوة.
اومأ (مراد) برأسه دليلا على فهمه وقال...
_صح يا دكتور ، صح ، احنا كنا بندور غلط ، دة مش قتل عشوائى ابدا ، هم اه صحيح مكانوش يعرفوا بعض لكن هو كان بيعرفهم كلهم ، سراج من بكرة محتاجين حد من المعمل الجنائى ينزل معانا ويرفع كل البصمات تانى ويطابق بينهم ، البصمة المشتركة فى كل الاماكن هيكون هو القاتل.
صمت الجميع قليلا ثم قال الدكتور(علاء...(
_معتقدش ان القضية هتتحل بالسهولة دى ، لكن حاول ، اكيد فى حاجة هتلاقيها وهتساعد ، المهم فكر بالطريقة دى يا مراد باشا.
دخل الطبيب (ياسر) من باب المكتب وبيده تقرير التشريح الاخير ، طلب قهوة من العسكرى الذى كان بالخارج وجلس بعد أن سلم على الجميع ، مرت نصف ساعة ظل يروى بها الطبيب (ياسر) ما حدث معه فى اليوم السابق ، تحدث عن الجثمان الجالس وعن ما رآه فى المنزل وعندما انتهى ، نطر (علاء) الى يده المرتعشة وقال...
_اطمن يا دكتور ياسر ، انت كويس ، مفيش حد بيطاردك ولا حاجة ، انت تحت تأثير صدمه اللى شوفته فى المقبرة امبارح ، اثار الصدمة دى واضحة عليك ، ايدك عمالة تترعش من ساعة ما دخلت وكنت هتوقع القهوة مرتين ، كل اللى انت شوفته دة بسبب الجثة اللى انت شرحتها ، انا ممكن اقولك على مهدئ لو حابب ، هيساعدك جدا.
نظر (ياسر) الى (علاء) وقد لاحظ بنفسه رجفة يده ثم قال..
_اسم المهدئ اية لو سمحت؟
****



فى اليوم التالى وقفت سيارة شرطة امام منزل الضحية الثانية (سماح) وهبط منها النقيبين (مراد) و(سراج) وبرفقتهم احد افراد المعمل الجنائي ، صعدوا السلالم ووقفوا امام الشقة ، طرق احد افراد الامن الباب فلم يجيب احد ، طرق مجددا فلم يجيب احد للمرة الثانية ، امر (مراد) بكسر الباب والاقتحام ، ركل احد افراد الامن الباب فخلعه من مكانه ودخلوا مسرعين الى الشقة ليجدوا جثة جديدة مذبوحة وملقاة ارضا فى منتصف الصالة لقد كانت (هناء) اخت (سماح) الاكبر ، نظر الضابطين الى بعضهم البعض وقال مراد لسراج...

_اتصل بدكتور ياسر خليه يجي حالا وانا هكلم القيادات.

رجال المعمل الجنائي يصورون كل شيئ ويرفعون البصمات من كل مكان ، يدققون البحث عن اى دليل يمكن أن يجدوه ، وقف النقيب (مراد) ينظر الى ذلك الوجه الميت والجسد الذى لاقى مصير مؤلم دون ادنى استغاثة ، دماءة تغلي داخل عروقه ، قاتل لعين يتلاعب بضابطين وفريق بحث كامل ، قاتل تسبب فى الكثير من المشاكل والان اصبحوا على بعد خطأ اخر ويستبعدون من القضية , عينيها تحمل الكثير من الاسرار ، كلما اطلق لمعت من اثر فلاش احدى الكاميرات احس مراد انها تفصح عن شيئ ، هى اخر من رأت ذلك المسخ ، لابد انه قتلها بعد ان علم بفتح التحقيق من جديد ، اراد أن يضمن سلامته ، هذا يعنى انها كانت تعرفه جيدا لكنها لم تكن على دراية انه القاتل ، كما قال الدكتور علاء ، جميع من قتلهم يعرفونه جيدا ، لابد من اخذ المبادرة تلك المرة ، لابد أن نسبقه لبعض الوقت حتى لو بالتفكير ، كل ذلك كان يدور بعقل النقيب (مراد) قبل أن يحضر الطبيب (ياسر) ويدخل الى مسرح الجريمة بعقله المشتت ، نظر الى الضابطين ثم ارتدى القفازات وشرع فى عمله.

مرت عدة ساعات لم يشعر بها الضابطين ، انتظروا أن ينتهى الجميع من راجل البحث والمعمل الجنائى من عملهم وكذلك رجال الطب الشرعي والطبيب (ياسر) ، وضعت الجثة داخل حاوية سوداء ثم تم نقلها الى سيارة اسعاف غادرت فى طريقها الى المشرحة لاستكمال التقرير ثم بدأوا هم بتفقد الشقة.

اتجه (مراد) وهو يرتدى قفازين الى احدى غرف النوم وهو يقول...

_سراج دور عندك فى الاوضة التانية عن اى حاجة ممكن تفيدنا ، ورق ، فلاشة او حتى صور.

كانت تلك الغرفة التى دخلها النقيب (مراد) تعود الى (سماح) ، صورها موضوعة اعلى الكومود بجانب الفراش ، بحث داخل جميع الادراج ، الخزانة و الكومود ، لم يعثر على شيئ سوى بعض الاوراق والجوابات البنكية و ايصالات الامانة ، هاتف جوال قديم و صور يبدو انها لخطبتها فى الماضى ، اشياء لا قيمة لها ، اتجه الى باب الغرفة ثم عاد واخذ الهاتف القديم ، لم يكن ليتركه وهو يبحث عن اى شيئ يصلح كدليل.

انتهى الضابطين ولم يعثروا على دليل واضح وصريح سوى ذلك الهاتف القديم ، امروا بأغلاق الشقة وغادروا العقار ليجدوا الكثير من الصحافة بسبب احد

الجيران الذى يعمل فى احدى الصحف ، امر النقيب (مراد) العساكر والامناء بأبعاد الصحافة عن المكان ثم غادرا سويا الى مكتب التحقيقات.
****
جسد يقف فى الظلام يتحرك بأتجاه مكتب حديدى متهالك موضوع عليه بعض الصور المقلوبة فلا يظهر منها اى شيئ ، امسك بواحدة ثم قلبها لتظهر ملامح (هناء) جلية ، يمسك بها ثم يحضر قداحة ويشعلها وهو ممسك بها ، تبدد النيران الظلام لتظهر ملامح غير واضحة للممسك بالصورة ثم يلقى بالصورة أرضا ويضع قدمه فوقها فيعم الظلام من جديد ، صوت خطواته تبتعد ، يفتح باب ما ثم يغلقه وتتابع صوت قدميه بالابتعاد.
****
جلس النقيب (مراد) خلف مكتبة ثم اشعل سيجارة وهو ممسك بالهاتف الذى وجه فى شقة (سماح) صدفة واخذ يحاول فتحه ، لم يستطيع ، البطارية فارغة ، اعطاه الى النقيب (سراج) الذى حاول بدوره ولم يستطيع ، خلع الجزء الخلفى منه فوجد شريحتين ، واحده مفعلة والاخرى موضوعة اعلى البطارية فقال...
_فى شريحيتين يا مراد ، واحدة شغالة والتانية كأنها كانت مخباياها او بتستعملها قليل.
وضع (سراج) الهاتف اعلى المكتب واخرج الشريحيتين ووضعهم بجانب الهاتف ، ظل الاثنين يفكرون قليلا ثم قال (مراد...(
_تفتكر هو قتلها ليه ، قتل هناء لية؟
صمت سراج ثم قال...
_يمكن افتكر انها ممكن تكون اتعرفت عليه او شكت فيه وخصوصا اننا فتحنا كل التحقيقات فى القضايا كلها ، وهو اكيد عرف حاجة ذى دى.
اخرج مراد نفسا مليئ بالدخان من بين فمه وقال...
_كعنى كدة اننا كنا قريبين اوى ، بص يا سراج انت تاخد قوة وتروح تأمن اسرة كل ضحية من ال٧ اللى فاضيلن ، هناء كانت اخر حد من عيلة سماح ، عاوزك تأمن عيلة هارون كويس جدا لاننا حققنا مع اهله.
اومأ (سراج) برأسة ثم قال...
_طب وابن اخوة اللى اسمه (سالم) هأمنه ازاى ، دة سافر الصعيد؟
اطفأ (مراد) السيجارة ثم قال..

_اتصل بيه هاته القاهرة وامنه ، مش عاوزين اى غلطة تانى ، هنرجع نحقق من بكرة تانى و اتمنى يكون فى جديد ، احنا موقفنا مش كويس بالمرة ، وفى اى وقت ممكن القيادات تستبعدنا عن القضية دى وانا مش هسمح بدة يا سراج ، دى قضية العمر.
وقف (سارج) وقال...
_تؤمرنى بحاجة تانى يا مراد؟
وقف (مراد) واعطى الهاتف والشريحتين الى (سراج) وقال...
_خد التلفون دة و الشريحتين دول للمعمل الجنائى ، انا عايز اعرف كل سجلات المكالمات اللى فى الخطين دول وكمان عايز اعرف اية اللى جوة التلفون دة ، وابقى قولهم يشوفوا شغلهم كويس بعد كدة ، ادينى لقيت حاجة ممكن كانت تبقى دليل بسببه كنا هنمسك قاتل قبل ما ينفذ ٧ جرايم بعدها.
خرج (سراج) من المكتب مسرعا ووقف (مراد) ينظر الى الشارع فى غضب ، القمر يشاركه همومه و افكاره ، شرد قليلا يفكر فى ذلك القاتل ، تسائل لما يفعل كل هذا ، اهو مخطط لقاتل متسلسل فائق الذكاء ام مرض نفسى يطغى على شخص عليل ويجبره على تصفيه الحسابات والتخلص من الاشخاص الذين اذوه كما هو رأى الدكتور (علاء) ، قطع حبل تفكيره رؤية احد ما يقف على الطرف الاخر من الشارع اسفل عمود نور متقطع الاضاءة ، دقق النظر فلم يتبين ملامحه بسيب بعد المسافة لكنه موقن انه ينظر اليه ويراقبه بتحد ، امعن التركيز فوجده يشير اليه بيده اليسرى بتحية النصر ، انقطعت اضاءة عمود النور وعندما عادت لم يجده.
خرج من مكتبه مسرعا وهو يحمل سلاحه النارى ، هبط السلالم وخرج الى الشارع يجرى فى اتجاه ذلك المكان ، لم يجده ، نظر حوله فى كل مكان ، وجد شخص صغير الجسد على بعد امتار يحاول التخفى وهو يهرول مبتعدا ، تتبعه والدماء تثور داخل عقله ، شد اجزاء السلاح متأهبا للتصويب عندما تكون الرؤية واضحة ، ذلك الشخص يعدوا مسرعا وهو يرتدى ملابس سوداء وغطاء للرأس يخفى به ملامحه ، النقيب (مراد) اصبح قريب للغاية منه حاول ايقافه وهو يقول..
_اقف ، بقولك اقف ، هضربك بالنار.
لكن ذلك الشخص مازال يحاول الهرب ، اطلق مراد رصاصة فى الهواء جعلت ذلك الشخص يقف ويفصل بينهم امتار قليلة فقال مراد...

_ايدك لفوق ولف ببطء ، نفذ اللى بقوله.
رفع ذلك الشخص يده الى اعلى ولف ببطء وقبل أن يزيح غطاء الرأس حاول الهروب فانقض عليه (مراد) ممسكا به فى قسوة ، خلع غطاء الرأس ليجده شاب صغير السن لا يتخطى ال١٥ عام على اعلى تقدير وقد بدأ فى البكاء وهو يقول...
_هو اللى قالى اعمل كدة ، انا معملتش حاجة ، ادانى الفلوس دى وقالى اعمل كدة ، والله دة اللى حصل.
اوقفه النقيب (مراد) بعد أن ظهرت عليه معالم التعجب والغضب ، اعاد السلاح النارى داخل سترته وقال...
_مين اللى عمل كدة ، اسمه اية ، انطق؟
ارتعد المراهق من صوت النقيب(مراد) واخرج مبلغ مالى وهو يرتعش ويقول..
_انا معرفوش والله ، وشه مكنش باين ، ادانى الفلوس دى وقال اقف هنا و افضل باصص على الشباك دة واول ما اشوف حد باصص منه افضل اشاورله وبعدين اهرب ، انا معملتش حاجة والله ، صدقنى ، انا محتاج الفلوس دى.
وضع النقيب (مراد) يده الى رأسه ومسح على وجهه بغضب وقال...
_امشى ، لو شفتك تانى هحبسك.
هرول ذلك المراهق وهو يبكى ويرتعد حتى ابتلعه الطريق المظلم ، وقف (مراد) لعدة دقائق ينظر حوله فى كل مكان ويفكر ، هو يعلم أن ذلك القاتل قريب للغاية ، يتابع سير التحقيقات عن كثب ، اتجه الى ذلك المبنى الامنى وهو يجرجر فشل جديد التصق بشارته ، وقبل أن يدخل من باب المبنى الامنى كان هناك احد ما يقف وسط الظلام وهو ممسك بكاميرا ويبدو انه كان يسجل كل شيئ.
****
داخل المشرحة يقف الطبيب الشرعي (ياسر) وهو ممسك بمشرط بيد مرتعشة ، ينظر الى جثمان (هناء) الممدد امامه على تلك الطاولة الحديدة شديدة البرودة ، يفكر انه كان فقط من عدة ايام يفعل المثل مع اختها (سماح) ، لا يستطيع طرد الخوف من قلبه ، يشعر ان هناك امر ما مريب للغاية ، شخص يتربص بالجميع ، ترك المشرط جانبا ثم غطى الجثمان وخلع القفازات ، تذكر أن عليه انهاء التقرير ، رحمتا بها يجب ان ينجز عمله ويخرج تصريح دفنها ، وعجبا ستدفن

هى غدا فى نفس القبر الذى سيخرج هو منه جثمان اختها لاعادة تشريحها كما هو مخطط ، ارتدى القفاز من جديد ثم امسك بالمشرط وكبح قلقه لبعض الوقت وتابع عمله المرهق للاعصاب.
****
الباب يفتح بقوة ويدخل من خلفه النقيب (سراج) ينتفض (مراد) ويقف مفزوعا ممسكا بسلاحه بعد أن غلبه النوم فى مكانه ، يتعجب (سراج) من ردة فعله ثم يفتح الاضاءة ليجد كارت ميمورى صغير كان ملقى بجانب الباب ، يمسك به وهو يقول...
_اية الميمورى دة يا مراد؟
يفتح (مراد) عينيه بصوعبه محاولا تفادى الضوء ، يمد يده فيعطيه له (سراج) ، يمسح عينه ثم يقول...
_شغل اللاب توب وشوف عليه اية عقبال ما اغسل وشى.
يتجه (مراد) الى دروة المياة ، يجعل المياة تنساب على رأسة بهدوء ثم يغلقها ، يجفف وجه ورأسه ، يسمع صوت (سراج) يخبره أن يأتى ، يخرج مسرعا وهو يحمل المنشفة بيده ومازالت المياة تتساقط من رأسه ، يرى تسجيل يعرض على شاشة اللاب توب له وهو يجرى خلف ذلك الصبي المراهق ، وهو يطلق النار حتى وصوله الى داخل المبنى الامنى ووقوفه مرة اخرى عند النفاذة.
بجلس (مراد) خلف مكتبه وهو يقول...
_القاتل بيراقبنا يا سراج ، الكلام دة حصل امبارح ، دة مش مريض نفسى ابدا.
ضم (سراج) يده فى غضب وقال...
_الواد دة لازم نجيبه يا مراد فى اسرع وقت ، دة بيلعب بينا.
اغمض (مراد) عنينه لثوانى ثم فتحهم وقال...
_عشان كدة انا عايز الدكتور ياسر والدكتور علاء هنا النهاردة ضرورى ، انا عندى حاجة كدة لو جربناها ممكن تنفع وتخليه يقرب اكتر ويقع فى فخ هنعمله.
****

(٥)

اجمتع الضابطين و الطبيبين داخل مكتب التحقيقات ، الجميع ينظرون الى النقيب (مراد) بترقب ينتظرون منه أن يتحدث لكنه مازال صامت يفكر ويظر الى صور التسعة ضحايا ،مر وقت وجيز و امتلئ سطح المكتب بفناجين القهوة واعقاب السجائر المتناثرة فى كل مكان ، رفع رأسه ثم قال...

_اخبار تقرير تشريح الجثتين اية يا دكتور ياسر؟

اعتدل (ياسر) فى جلسته وقال...

_كالعادة ، ذكر اعسر اليد ، وسلاح مفقود ، نفس طريقة الوفاة ، الذبح مرورا بالرقبة ادى الى نزيف حاد افضى الى الوفاة ، هو نفس القاتل يا مراد باشا ونفس اداة الجريمة وبنفس الطريقة ، مفيش جديد.

تحدث (مراد) مجداا...

_حتى بعد لما شرحت جثة (سماح) تانى؟

شرد الطبيب (ياسر) قليلا بعد أن تذكر شكل جثمان (سماح) الذى رآه على حالته المفزعة بعد أن اخرجها من القبر ليعيد تشريحها ، ثم تذكر اعادتها الى داخل القبر بجانب اختها (هناء) ، افاق على صوت النقيب (سراج) يحدثه فقال...

_مفيش جديد يا جماعة ، انا شايف اننا منكملش فى موضوع تشريح الجثث الباقية يا مراد باشا ، واضح اننا مش هنوصل لحاجة جديدة بالطريقة دى.

صمت الجميع ثم أكمل (ياسر..(

_انا بقالى فترة مش قادر اعيش حياتى بشكل طبيعى من ساعة ما فتحت قبر (هارون) ولقيناه قاعد ، انا بقالى سنين فى المجال دة بس دى اول مرة احس انى محتاج اهدى واستريح ، لو حضرتك مصمم يبقى ممكن تكلف طبيب شرعي غيرى ، دة رجاء شخصى.

اشعل النقيب(مراد) سيجارة وقال...

_مش هينفع يا دكتور ياسر ، انت اللى شرحتهم اول مرة وانت اللى لازم تطلعهم من القبور وتشرحهم تانى ، التقارير مش هتفيد الدكتور الجديد مهما كانت دقيقة ، عامة انت كدة كدة هتفتح القبور تانى بس مش هتشرح الجثث المرة دى.

ظهرت معالم التعجب على اوجه الثلاثة ، فأبتسم (مراد) وقال...

_احنا هنلعب مع القاتل دة لعبة مش هيحبها ،هو مراقبنا كلنا بدون استثناء ، بيحاول يطمن ، دة ومعناه انه مش واثق انه محى كل الادلة وخايف انه يسيب حتى لو حاجة بسيطة نقدر نوصله بيها.
تدخل الطبيب النفسى (علاء) فى الحديث وقال...
_عشان كدة قتل (هناء) لما شك انها ممكن تجيب سيرته فى التحقيقات ونبدأ ندور وراه ، هو فى موقف عدائى جدا لكل اسر الضحايا ، هو نفذ جرايم القتل دى كلها من غير تحقيق ، مريض نفسى!!! بس دى مش اعراض مريض نفسى عادى.
نظر (مراد) الى (علاء) وقال...
_يا دكتور دة مش مريض نفسى ودة مش وقت خالص مجادلة ، انت صح هو دلوقتى فى موقف مخيف بالنسباله وعشان يبدأ يظهر هنحتاج طعم نخرجه بيه من جحره.
عاد (سراج) مستندا بظهرة على الكرسى وقال...
_طعم !! ومين هيبقى الطعم يا مراد؟
رفع (مراد) سبابته واخذ يمرره على ثلاثتهم ذهابا وايابا ثم توقف امام الطبيب (ياسر) مشيرا اليه ففزع (ياسر) وظهرت معالم الخوف جلية على ملامح وجه فقال (مراد...(
_انت هتكون الطعم يا دكتور ياسر ، هتروح بكرة تفتح قبر المهندس (خالد مهران) الضحية الثالثة و تخرج الجثة ومتحاولش حتى تشرحها ، مجرد تخرجها وتسيبها دقايق وتدخلها تانى وبعد كدة يا سراج هيجى دورك ، هتجيب كام صحفى من المتطفلين وتسرب معلومة كدة اننا لقينا تحت ضفر الضحية جلد لشخص مجهول وحاليا الدكتور ياسر هو اللى شغال على الفحص وخلال ايام هيكون توصل ل (دى ان ايه) للقاتل ، بكدة انت هتبقى مطارد يا دكتور ياسر وحياتك مهددة بالخطر ، هو اكيد عارف مكانك وعارف كمان تحركاتك ، هيحاول يوصلك خلال ٤٨ ساعة ويخلص منك بأى طريقة عشان يقتلك وياخد العينه.
ابتسم سراج وقال...
_يبقى احنا كدة عرفنا ان هو مش هيهاجمك الا فى المشرحة عشان دة المكان اللى هتكون فيه العينه فعلا ، انا موافق جدا على الفكرة دى.

اصبح وجه الطبيب (ياسر) مدمغ باللون الاصفر ، هو الان تحت ضغط كبير ويشعر انه مسلوب الارادة ، آثر الصمت قليلا ثم قال...
_طب ومراتى وولادى.
جاء الرد سريعا من مراد...
_زمان رجالتنا هناك و متأمنين كويس ، انت بس ساعدنى يا دكتور ياسر ، دى فرصتنا الوحيدة ، ومتقلقش انا وسراج هنامنك بنفسنا ، مش هيقدر يلمس شعرة منك ، صدقنى...خليك واثق فيا.
فكر (ياسر) قليلا ثم اومأ برأسه دليلا على الموافقة ، اخذ النقيب (مراد) نفس عميق ثم قال...
_كدة تمام جدا ، احنا هننفذ الخطة دى ، تقدروا يا دكاترة تروحوا ومحدش يعرف حاجة عن الكلام اللى قلناه هنا ابدا ، انا محتاج سراج اتفضلوا انتوا.
وقف الطبيبين وتحركوا فى اتجاه الباب ثم خرجوا واغلقوا خلفهم ، جلس (سراج) بالقرب من (مراد) وقال...
_دى مجازفة يا مراد ، انت دارس كويس اللى انت قلته ؟
وقف (مراد) وقال...
_احنا شغلتنا دى بتحتاج كتير للمجازفة ومع الوقت بتبقى هى نفسها المجازفة ، القاتل دة يا سراج مش غبى ابدا لكنه مش شيطان يعنى ، هيقع هيقع و انا متأكد ان الخطة دى هتدخل عليه ، قولى بس انت عملت اية فى موضوع الخطوط والتلفون اللى لقيناه فى شقة سماح.
وقف الاثنين ينظرون من النافذة وقال (سراج...(
_ذى ما توقعت موصلناش لحاجة ، كان فى رقم واحد بس هو اللى بيتصل بالتلفون دة وطلع مش متسجل طبعا بس عرفنا كان بيتصل منين.
انتبه (مراد) الى ما قيل وسأل...
_منطقة اية؟
اكمل (سراج...(
_هما مش منطقة واحدة ، الاولى الاوقات من نفس المنطقة بتاعة سماح و بعدها العاشر من رمضان و المنوفية والشرقية و سوهاج و الاقصر ، تقريبا من اماكن كتير.
شعر (مراد) بخيبة امل وقال...

_يعنى موصلناش لحاجة ، كدة مقدمناش غير الخطة اللى قلت عليها ، سراج تامين ياسر مسؤليتك أنت ، من بكرة متسيبوش لحظة ، انت معاه خطوة بخطوة من غير ما تتشاف.
****
اشرق الصباح ومازال الطبيب (ياسر) جالس على فراشة من دون نوم او راحة ، نظر الى زوجته النائمة بجاورة على الفراش ،قبلها ثم ارتدى ملابسه ودخل الى غرفة اطفاله ، اطمأن عليهم ثم غادر وهو يرتعش ويشعر بمصيبة وشيكه ، ركب سيارته واتجه الى المستشفى التابع لها ، مكث بها ساعة ثم غادرها ومساعدة وقوة من الشرطة الى المقابر ، اخرج الجثمان كما هو العادة ، ظل ينظر الى الكفن المتسخ فى خوف ، شعر انه قريب من الموت للغاية وتلك الرائحة ستكون داخل حلقه عما قريب ، مع الحاح مساعده عليه أن يتابع وخوفا أن تنكشف الخطه فتح الكفن فى تقزز ، واجرى تقييم سطحى للغاية واخذ بعض العينات من اسفل الاظافر ثم امر التربى أن يدخل الجثمان الى داخل القبر من جديد ، بعد دقائق من وصوله الى المستشفى اعلنت احدى الجرائد عن خبر اكتشاف دليل جديد فى تلك القضية من شأنه أن يكشف القاتل ثم كتبت التفاصيل ، تلك القضية التى اصبحت رأى عام وجرت الامور كما خطط لها.
جلس الطبيب (ياسر) طيلة الوقت داخل المشرحة وهو يضع سماعة اذن يتواصل بها مع النقيب (سراج) والنقيب (مراد) ليطمأناه ، احس بتوتر فأخرج العينة من بدأ فى تحليلها ، بدأ يرى شيئ غريب ، فتلك الانسجه حقا لا تنتمى الى الجثة ، انها مختلفة تماما ، تعجب ، انه دليل حقيقى ، تحدث الى الضابطين عن طريق السماعة وقال..
_مراد باشا ، انا لما خرجت الجثة النهاردة اخدت عينه من تحت الضفر ، العينة دى مختلفة فعلا ، انا محتاج احللها فى المعمل الجنائى ، دة دليل صحيح.
انهى كلماته ثم شعر أن احدا ما يقف خلفه فى الظلام ، صمت وبدأ يرتجف ، استدار ببطء وهو يشعر بخوف دفين ، دمعت عيناه وتذكر زوجته و ابنائه ، ارتعشت شفتاه عندما رأى احدهم يخرج اليه من بين الظلام وقبل أن يتفوه بكلمه ذبح فى الحال ، سقط جسده ارضا وبدأت اوصاله فى الاتجاف من اثر خروج الدماء من عروقه ، حاول ان يوقف نزيف الدماء لكن من دون فائده فارق الحياة وهناك صوت الضابطين يدوى فى اذنه وهم ينادون بأسمه.



دقائق ووصل الضابطين الى داخل المشرحة ، الدماء تتدفق من الداخل الى الخرج ، نظر الضابطين الى بعضهم البعض ثم فتحا الباب ليروا الطبيب (ياسر) قد فارق الحياة ذبحا كما هو حال الضحايا السابقين وبالطبع لم يجدوا العينة.

(٦)

وقف الضابطين امام جثمان الطبيب الشرعي (ياسر) فى زهول وخيبة أمل ممتزجة بالحيرة ، الدماء مازالت تنساب من عروقه حتى رسمت بقعة كبيرة من الخوف اصبح هو فى منتصفها ، ملقى ارضا على صدره بعينان رأت الشيطان نفسه للحظات ثم فارقت الحياة ، احدى يديه ممسكة برقبته فى محاولة يائسة منه لوقف نزيف دماءه والاخرى كانت قابضة على شيئ آخر لاحظها النقيب (مراد) وانتظر قدوم رجال البحث الجنائي كى يقوموا بعملهم.
بعد عدة ساعات فرغ رجال البحث الجنائي من عملهم وتبين أن ما كان داخل يد الطبيب (يسار) هو العينة التى اخذها وكان يتفحصها ، يبدو ان القاتل لم يكن يملك الوقت الكافي لانتزاعها منه ، لم يمت هبائا وقاتل حتى اخر نفس.
حضر طبيب شرعي وبدأ فى معاينة جثمان (ياسر) وأكد انه مات بنفس الطريقة المعتادة لذلك القاتل وبنفس الاداة ، كتب تقريره الاولى ثم وضع الجثمان داخل ثلاجات الحفظ لحين استخراج اوراق دفنه.
فى اليوم التالي حضر الضابطين مراسم الدفن وهم فى غاية الحزن والاسى ، شعور بالعجز مازال يتملكهم ، لقد اخفقوا وتمكن ذلك السافل المريض من حصد روح كافحت بشدة من أجل كشف الحقيقة ، الظلام كان يحاوط قلب وذهن النقيب (مراد) وما زاد الامور سوءا هو شعوره بالذنب ، لقد كانت تلك خطته هو ، لقد وضعه امام الموت بيده ، سقطت دمعة من عينه لا اراديا عندما رآه وهم يهبطون بجسده الى داخل القبر ، وضع نظارته الشمسية مداريا المه و دموعه واتجه الى سيارته ، قبل أن يتحرك بسيارته وجد امامه زوجة (ياسر) وطفليه يقفون امام السيارة ، هبط وتحرك فى اتجاهها وقد عقد لسانه ، خاف أن يتحدث معها كى لا يزيد الامور سوءا ولكنها لم تبدى اى اتهامات ولوم ، كل ما فعلته هو اعطاءه جواب وهى تقول...
_ياسر قبل ما يموت بيوم اداني الجواب دة وقالى لو حصلى حاجة اديه للنقيب مراد ، ياسر الفتره الاخيره كان متغير جدا حتى فى الايام الاخيرة لما سافرت انا والاود هو مرديش يجى معانا وطلب رجوعنا قبل موته بيوم كانه كان حاسس ، اتفضل.

مدت يدها بالجواب ، بيد مرتعشة امسك بها مداريا دموعه خلف النظارة الشمسية ثم انتظر رحيلها وظل واقفا مهدودا من الداخل ، نظر الى الجواب ثم وضعه داخل سترته ودلف السيارة وانطلق مسرعا.
****
صورة اخرى تحترق فى يد احد ما يقف فى الظلام ثم يلقى بها تظهر نصف وجه الطبيب (ياسر) ، يعم الظلام بعد أن اخمد النيران بحذاءه ، صوت لباب يفتح ثم يغلق ممتزج بصوت تمتمه غير مفهومة من ذلك الشخص.
****
على ضوء بسيط قادم من اباجورة موضوعة اعلى المكتب جلس النقيب (مراد) ومازال الحزن يخيم على ملامح وجه ، ينظر الى الجواب فى خوف و فزع ، تلك اخر كلمات ستصله من الطبيب (ياسر) ، بعد عدة دقائق من التفكير تمكن من ضبط نفسه وفتح الجواب ليجد بداخله...
_انا عارف ان الكلام اللى هتقراه هنا يا مراد باشا اقرب للجنون بس دى شكوكى اللى قربت اتأكد منها ، لما انتهى من فحص العينه اللى معايا هتأكد من القاتل الحقيقى واللى دايما كنت شاكك فيه ، علاء هو القاتل ، انا شاكك فيه من البداية ، هو الوحيد اللى كان معانا خطوة بخطوة وعارف كل تحركاتنا ، لو حصلى حاجة قبل ما اوصل لنتيجه التحليل دة ارجوك اقبض عليه وحقق معاه حتى لو انكر انا متأكد انه هو وكلها ساعات وهنتأكد كلنا بعض فحص العينه دى ، لو مت وصيتك هات حقى ، وانا اكيد هكون فى مكان افضل.
انهى (مراد) قراءة الجواب ثم تركه وظل يفكر وهو دامع العينان ، اشتعل عقله حتى كاد أن ينهار ، كيف يعقل أن يكون (علاء) هو القاتل ؟ لكنه كان على دراية بكل شئ ، تفاصيل جميع القضايا ، يصر على أن القاتل مريض نفسى كى يشتتنا ، لم قد يفعل شيئ كهذا ؟ لم الان ؟...
كل تلك التساؤلات كانت تعصف بعقله دون رحمة او هوادة ، اتجه الى دورة المياة ووضع رأسه اسفل المياة وجعلها تنساب فوقه حتى هدأ واخذ قرارة ، علم أن تحليل تلك العينة التى وجودها بيد (ياسر) هى مفتاح كل شيئ لكنه عليه اتخاذ بعض التدابير ، اخرج هاتفه الجوال واتصل ب(سراج) وانتظر اجابته ثم قال...

_سراج انا عايزك تفوق وتسمعنى كويس ، ياسر كان شاكك فى حد معين وانا كمان بقيت شاكك فيه دلوقتى ، احنا معندناش دليل ضده لحد دلوقتى بس خلال ساعات هيكون ...اسمعنى كويس ونفذ اللى هقوله بالحرف.
****
داخل منزل الطبيب الشرعي (ياسر) جلست زوجته تحتضن ابناءه وهى تبكى وتنظر الى صورته المعلقه ، تتذكر كل ما مروا به سويا ، لحظات سعادتهم ولحظات حزنهم ولم تتخيل انه سيفارقها بتلك السرعة وبهذة الطريقة البشعة ، لوهلة شعرت انه ينظر اليها بغضب فدفنت رأسها فى احضان ابنائها وظلت تبكى.
****
فى صباح اليوم التالى جلس النقيبين (مراد) و(سراج) داخل مكتب التحقيقات يراجعون تفريغ كاميرات المراقبة الخاصة بالمستشفى وبالاخص قسم المشرحة ، بعد أن شاهدوا التسجيل اكثر من مرة لم يتبين دخول احد خلف الدكتور (ياسر) بعد دخولة الى قسم المشرحة ، هو فقط من دخل وبعد أن قتل هناك شخص ما كان يرتدى السواد من رأسه الى اسفل قدمه خرج مسرعا وبيده سكين ثم اختفى داخل اروقة المستشفى و لم يتم رؤيته بعد ذلك على كاميرات المراقبة ، يبدو انه كان بالداخل فى انتظار دخوله كأنه يعلم مسبقا عن الخطة حتى قبل أعلان الصحافة عن التفاصيل الجديدة وهذا ما يؤكد الشكوك حول الدكتور (علاء) هو وحدة كان يعلم بالمخطط والضابطين كانوا معا فى غرفة المراقبة بالمستشفى وقت ارتكاب الجريمة ، القاتل دخل بملابس طبيب الى غرفة المشرحة ثم استبدل ملابسه وعندما ارتكب الجريمة دخل الى قسم اخر بالمستشفى وخرج بين عدد كبير من الاطباء ولم تظهر ملامحة ، شيئ يفوق الخيال وذكاء يمتلكه سفاح مريض النفس.
طرق الباب الدكتور (علاء) ثم دخل الى المكتب وعلى وجهه التأثر الشديد بموت (ياسر) ثم جلس ، اغلق النقيب (مراد) اللاب ولم يظهر ما يخفيه من غل وكره له وكذلك فعل (سراج) تعاملوا معه بكل هدوء وبشكل طبيعي ، جلس يتناقش معهم فى تحليلاته الروتينية المعقدة التى لا تفيد فى اى قضية منذ قدومه وانضمامه الى فريق البحث ، تظاهروا بالاهتمام ، اصدر هاتف الطبيب (علاء) صوت فنظر الى الشاشة ثم استأذنهم انه سيجرى مكاملة ويعود من اجل استكمال الحديث.

خرج الطبيب (علاء) ودخل من خلفه احد افراد البحث الجنائى وبيده تقرير تحليل العينة ، امسك النقيب (مراد) التقرير مسرعا واخذ يقفز ما بين السطور حتى وصل الى نتيجة التحليل ورفع البصمات التى وجدت فى المشرحة مع ارتكاب الجريمة وتأكد انها تعود الى الطبيب النفسى (علاء.(
وقف مسرعا واشار الى (سراج) وهو يقول...
_هو علاء يا سراج بسرعة ذى ما اتفقنا ، اقبض عليه.
خرج (سراج) مسرعا وخلفه (مراد) فلم يجدوه ، هبطوا السلالم مسرعين وسألوا الامناء والعساكر عنه فعلموا انه كان يهرول فى طريقه الى الخروج ويبدو انه علم ان تم كشف امره.
تحركوا مسرعين الى محل اقامته بقوة كبيرة للقبض عليه لكنهم لم يجدوه ، استشاط النقيب (مراد) غضبا وفكر سريعا فى مكان تواجده فأهتدى الى عيادته ، خرج هو (سراج) مسرعين ومعهم تلك القوة الى العياده ، هاتفه مغلق ولا أثر لاحد افراد اسرته الذى اكد بواب العقار انهم غادروا مسرعين ومعهم حقائب للسفر كأنهم يهربون من احد ما.
اقتحموا العيادة و دخل الكثير من راجل الشرطة للبحث عنه ثم ارتفع صوت احدهم يقول...
_مراد باشا ،احن لقينا الدكتور علاء هنا ,ميت فى مكتبه.
اسرع الضابطين الى مكان جثمان الطبيب (علاء) غير مصدقين ما حدث ،تضاربت افكارهم لما قتل نفسه وهو بامكانه الهروب ؟ دخلوا الى المكتب فوجدوه مذبوح بنفس الطريقة كما رآوا من قبله (ياسر) وبقية الضحايا ، وجدوا هاتفه ملقى بجوارة ومازال يرن من رقم مجهول ثم صمت ووصلت اليه رسالة من رقم المجهول اخرج النقيب(مراد) منديل من جيبه ثم امسك بالهاتف فوجد الرسالة مكتوب بداخلها...
_اكيد عرفت دلوقتى ان علاء مكنش هو القاتل ، انا اذكى منكم كلكوا لانى املك اللى انتوا متملكهوش ...ودى مش هتكون اخر مرة اكسب فيها....اه وابقى اشكرلى مرات الدكتور (ياسر) الله يرحمه انها وصلتلك الجواب اللى انا سبتهولها قدام الباب ..بس هى معذورة خايفة على نفسها وعيالها وانا هددتها انها هتحصل جوزها هى وعيالها...خاف على نفسك يا باشا انت بتتعامل مع الشيطان .

(٧)

وقف الضابطين امام مكتب ما فى انتظار وصول قائدهم المباشر (العقيد / مجدى عابد (يرتدى كلا منهم ذيه – الميري – المزيد بثلاثة نجوم على كلا الكتفين ، ينظرون الى بعض فى صمت من حين الى آخر ، كليهما يفكر فى مصير القضية و يشتعلون من الداخل ، لقد تلاعب بهم قاتل مريض فائق الذكاء والان وقد فقدوا اثنين من فريق البحث ، ماتوا من أجل قضية اصبحت تهدد الجميع ، الكثير من القتلى والكثير من الحيرة والكثير من الدماء ، ماتوا لانهم اشوكوا على الايقاع به ، لم تعد قضية عادية بعد الان ، اصبحت ثأر شخصي و رد اعتبار لاثنين من اكفأ الضباط ، كل تلك الافكار والكلمات كانت تتناقل بين اعينهم من دون كلمات ، فكل الكلمات باتت الان لا معنى لها.

خطوات تقترب لرجل خمسيني يحمل رتبة عقيد ، متوسط الطول ومازال محافظا على لياقة جسده ، اسمر البشرة ووجه مستدير ، شارب كث ، عينان حادتين ، يتحرك بخطوات ثابتة سريعة ، يؤدى الجميع له التحية العسكرية فى اهتمام و جدية كبيران ، وصل امام الضابطين فأدوا التحية العسكية له وبادلهم اياها مع نظرات ثاقبة تنم عن الكثير من اللوم.

فتح احد العساكر المكتب له فدخل وتبعه الضابطين فى هدوء ، اتجه العقيد (مجدى) ووقف خلف مكتبه ثم خلع غطاء الرأس ووضعه اعلى المكتب واشار للعسكرى أن يغلق الباب ففعل ، انتظر أن يغلق الباب ثم اشار الى الضابطين ان يجلسوا وظل يرمقهم بغلظة ثم قال بهدوء يسبق العاصفة...

_اتنين من اكفأ الضباط واللى انا شخصيا اديتهم ثقه كبيرة ودافعت عنهم قدام كل القيادات معرفوش يقبضوا على قاتل واحد و النتيجة يا بشوات اننا خسرنا اتنين من فريق البحث.

ثم ارتفع صوته ليصبح صياحا..

_اتنين دكاترة حطوا ثقتهم فينا واحنا مقدرناش نحميهم وماتوا حتى من غير ما نمسك اللى قتلهم ، اسرتين فقدوا أب ، اطفال اتيتمت بدرى وزوجتين بقوا ارامل بسبب تقصير مننا.

ثم صمت وقد ظهرت علامات الغضب على وجهه واخذ يتنفس بصوت مسموع ، عاد الى هدوءه وقال...

_لو معندكوش جديد فى القضية دى ، سلموا الملف وارجعوا مكاتبكم لحد ما اعين حد غيركم يمسك القضية دى ولو انى اشك ان فى اكفأ منكم تحت قيادتى.

ظل يرسل نظراته بين الاثنين ، ينتظر منهم رد يبرد النار المشتعلة بداخل عقله ، تحدث النقيب (مراد) وقال...
_فى يا فندم جديد فى القضية ، وانا مش هسلم القضية دى الا ميت او جايب القاتل ، مرات الدكتور (ياسر) الله يرحمه كلمتنى لما عرفت اللى حصل للدكتور (علاء) هى حاسه بالذنب وخايفة ، قالت انها شافت القاتل لما ساب الجواب ، فى كاميرا صورته ، استأذن حضرتك تسيبنا نكمل فى القضية ، ادينا فرصة نجيب حق اللى ماتوا ، وانا هتحمل كل المسؤلية يا فندم.
تدخل النقيب(سراج) فى الحديث وقال...
_وانا كمان يا فندم هتحمل المسؤلية مع مراد كاملة ، ادينا فرصة يا فندم وادينا الصلاحيات.
ظهر شبح ابتسامة على محيا العقيد(مجدى) سرعان ما اخفاها لكنهم رأوها جيدا ثم قال...
_معاكم كل الصلاحيات ، انصراف.
وقف الضابطين وادوا التحية العسكرية وقبل خروجهم من المكتب قال قائدهم...
_شهر بالكتير والواد دة يكون هنا فى مكتبى متكلبش...شيطان بقى انسان هو شهر.
****
يد تظهر خلف شراع زجاجي تطرقه بقوة حتى كاد أن ينكسر ، افاق (على) من النوم ونظر الى الساعة المعلقة بجانب صورة والدة (هارون) فوجدها الثالثة بعد منتصف الليل ، تملكه الغضب واخذ يسب من يطرق الباب هكذا ، وصل الى الباب وفتحه لكنه لم يجد احد ، خرج خطوات ونظر الى اعلى السلالم ثم اسفلها ولم يجد احد ، لوهلة شعر بالخوف ولكنه تمالك نفسه ، اتجه الداخل فوجد جواب ملقى ارضا ، تردد كثيرا قبل أن يمسك به لكنه فعل ودخل الى الشقة ، واغلق من الداخل ، اتجه الى اريكة قريبة من الباب وفتح الجواب ليجد بداخله صور لوالده وهو مذبوح ، دمعت عينيه واخذت تزرف الدموع لا اراديا ، اخذ يقلب فى الصور وهو يبكى ، ثم القاها ارضا واخذ يصرخ ، هناك احد ما يتلاعب بأعصابه و يمارس لعبة نفسية قاسية عليه ، امسك الصور مرة اخرى ووضعها داخل الجواب من جديد فوجد ورقة صغيرة امسكها وقرأ ما بداخلها للتغير ملامح وجهه من الغضب الى الخوف.
****

وصل النقيب (مراد) والنقيب (سراج) الى منزل الطبيب الشرعي الراحل (ياسر) ، ضغط احدهم على الجرس وانتظروا أن يفتح لهم الباب ، نظر (مراد) الى الكاميرا المعلقة أعلى الباب وعلم انها المقصوده وهى من صورت القاتل عند وضعه للجواب ، فتح الباب لتظهر زوجته وهى ترتدى الاسود وعيناها مليئة بالدموع ، سمحت لهم بالدخول ، تحركوا الى الداخل ونظروا ولم يتمكن ايا منهم من النظر الى الصورة المعلقة واكتفوا بالنظر بعيدا.
بعد وقت قصير عادت اليهم بفنجانين من القهوة وبدأ الحديث قائلة وهى تبكى...
_انا خوفت على اولادى ، مكنتش اعرف انه هيستغل دة ، انا حتى معرف اية اللى كان فى الجواب.
وظلت تردد الكثير من الاعذار فأوقفها (مراد) وقال...
_محدش يقدر يلومك على دة ، انتى عملتى اى ست او ام ممكن تعمله ، حقك تخافى بعد اللى حصل بس اوعدك ان محدش هيقدر يأذيكى او حتى يقرب ناحية ولادك ، انا ضاعفت عدد القوة وهيكونا معاكى فى كل مكان لحد ما نمسك القاتل.
مسحت دموعها وفتحت درج قريب منها ، اخرجت كارت ميمورى واعطته الى (مراد) وهى تقول...
_فى فديو هنا بيبين وش القاتل وهو بيحط الجواب قدام باب الشقة ، يا ريتنا كنا ركبنا الكاميرا من قبل كدة ، كان زمان ياسر لسة عايش.
ثم بدأت فى البكاء من جديد ، انتظر الضابطين حتى هدأت ثم وقفوا واتجهوا الى الباب ، وقبل أن يخروجوا نظر (مراد) بطرف عينه الى صورة الطبيب (ياسر) ثم خرج واغلقت خلفهم الباب.
****
حل الليل سريعا وعاد الضابطين الى مكتب التحقيقات بعد أن انهوا عدة اشياء تتعلق بسلامة اسر الضحايا واستلام بعض التقارير الخاصة بالطب الشرعي بعد تشريح جثمان الطبيب (علاء) وتقرير المعمل الجنائى الذى اكتشف بصمات جديدة فى مكان ارتكاب الجريمة و خلال ساعات ستكون هناك نتائج.
جلس الاثنين ووضعوا كارت الميمورى وبدأوا مشاهدة التسجيل ، هناك احد ما غير واضح الملامح يتحرك فى الظلام ويقترب من باب الشقة ،يتلفت حول نفسه ثم ينحنى ويضع الجواب ارضا ثم بخطأ ما غير مقصود ينظر الى الكاميرا لتتبين ملامحة جلية.

نظر الضابطين بعض فى تعجب ، بقد رأوا ذلك الشخص من قبل بكل تأكيد ، انه من اسرة احد الضحايا وقد تم التحقيق معه من قبل ، بسرعة كبيرة اخرج النقيب (مراد) ملفات القضايا والصور واخذا يبحثان داخل الملفات عن ذلك الشخص حتى وجده (سراج) وقال...

_مراد !! دة حازم ، اخو الضحية الثالثة المهندس (خالد.(

امسك (مراد) بالصورة ووقف وهو يضع السلاح النارى داخل سترته وهو يقول..

_هو مش المفروض تحت الحراسة ؟ كلم المكلف بحراسته انه يحتجزة لحد ما نوصله.

نظر (سراج) الى (مراد) وقال...

_تفتكر تكون لعبة جديدة بيلعبها معانا القاتل؟

لوهلة توقف (مراد) عن الحركة وظل يفكر ثم قال...

_خلينا معاة للاخر ، اعمل اللى بقولك عليه و خد اذن من النيابة بتفتيش شقته ، اكيد هيكون فيها دليل ممكن نمشى وراة لو هو مش القاتل الحقيقى.

بعد مرور ساعة وقد اقترب الضابطين من مكان سكن (حازم) تلقوا اتصال من الضابط المكلف بحراسة المكان يخبرهم ان (حازم) قد هرب ولم يتمكنوا من القبض عليه وكأنه علم بالامر حتى قبل أن يعلموا هم.

(٨)

وصل النقيبان (مراد) و (سراج) الى منزل (حازم) ، تحدثوا قليلا مع الضابط المسؤل عن الحراسة ثم توجهوا لمقابلة زوجته التى كان يبدوا عليها الحزن الشديد ، قدمت لهم واجب الضايافة ثم بدأ (مراد) حديثة قائلا...

_حازم فين ؟

اجابته بكلمات ثابته كالحجر وختصرة للغاية...

_مش عارفة.

بادرها (سراج) بسؤال اخر وقال...

_كان بيتغيب فترات طويلة برة البيت.

اجابته بكل هدوء وصرامة...

_مش فاكرة.

صمت الضابطين قليلا ثم قال (مراد...(

_احنا محتاجين تتعاونى معانا ، عشان لو دة محصلش حازم هيكون فى نظرنا هو القاتل .. حازم اتصور وهو قدام بيت احد الضحايا بعد مقتله بايام.

نظرت الى عين (مراد) مباشرة كأنها تريد البوح بشيئ ثم تراجعت وقالت...

_وانا معنديش معلومات اقدر افيد حضرتك بيها ، ممكن تدورا عليه ولم تلاقوه ابقوا اسالوه.

ظهرت معالم الغضب على وجه (سراج) بسبب طريقة حديثها المستفزة وحاول أن يتحدث فأشار له (مراد) وقال...

_شكرا لوقت حضرتك ، احنا هنوصله بطريقتنا.

ثم تحركا الاثنين وغادرا البيت بعد أن اخبر (مراد) الضابط المسؤل عن الحراسة أن يتوخى الحذر لان القاتل يمكن ان يستهدف تلك الاسرة.

فى طريق العودة الى المكتب سأل (سراج) مراد...

_احنا ليه مضغطناش عليها اكتر ؟ كانت ممكن تقولنا على معلومات تفيدنا ، هى اكيد تعرف مكانه بس مش عايزة تقول.

نظر (مراد) الى صديقة وقال...

_هى عارفة كل حاجة يا سراج بس مكنش ينفع تقول ، طريقتها ونظراتها كانت بتقول كدة ، حازم مش هو القاتل ، وارد جدا يكون بيعمل كل دة غصب عنه

وهى عارفة دة كويس ، انا متاكد اننا هنكتشف دة قريب ، ولو كنا قعدنا معاها للفجر مكانتش هتتكلم.
توقف (مراد) بسيارته بالقرب من كشك وقال ل(سراج... (
_عايز حاجة من الكشك ؟ انا نازل اشترى سجاير.
اشار له (سراج) بالنفى ، هبط (مراد) من السيارة بينما جلس زميلة – سراج - بداخلها فى انتظارة ، اتجه الى الكشك اعطى النقود الى البائع واخذ علبة سجائر ، اقترب احد ما من السيارة يقود دراجة بخارية وهو ممسك بسلاح نارى ثم اطلق رصاصة فى اتجاة النقيب (سراج) لم تصيبه واصطدمت بجسد السارة وهرب مسرعا ، هرول (مراد) الى السيارة واطمأن على (سراج) ثم تحرك مطاردا لذلك الشخص.
استمرت المطاردة لبعض الوقت حتى تمكن (مراد) من الامساك بذلك الشخص بعد أن وقع من فوق الدراجة النارية واصيب ببعض الكدمات وعندما ازاح غطاء الرأس وجده (حازم) ، قبضوا عليه ووضعوه داخل السيارة واتجهوا الى مكتب التحقيقات بعد أن ابلغوا جميع القوات والقيادات انه تم القبض على المشبته به بعد محاولة فاشلة منه بأصابه النقيب (سراج.(
ظل الضابطين ينظرون الى وجه (حازم) فى المرآة وهو صامت كأنه يجاول الافصاح عن شيئ ، الكثير من الاسئلة بداخلهم لكنهم فضلوا الصمت حتى الوصول الى مكتب التحقيقات واجراء تحقيق رسمى معهم لكنه لم يتمكن من ذلك وبدأ كلامه وهو فى غاية الخوف قائلا...
_مش انا القاتل يا مراد باشا ، لازم تصدقنى ، انا عملت كل دة غصب عنى ، انا بنفذ كل اللى بيقولى عليه لانى معنديش خيار تانى ولو كان عندى كان زمانى انا اللى قاتله وواخد بتار اخويا خالد ، بس هو ماسكنى من ايدى اللى بتوجعنى.
قال (سراج) فى غضب...
_وفر كلامك ده للتحقيق ، مش عاوزين نسمع مبررات فارغة.
ارتفع صوت (حازم) وقال...
_بنتى معاه ، خطفها من المدرسة وهددنى بيها ، كان لازم اعمل كل اللى يقول عليه ، انا مش ضامن انى اوصل سليم وانا معاكم ...انتوا مش مقدرين المصيبة اللى انتوا فيها ، دة مش بنى ادم ، دة شيطان متجسد فى بنى ادم ، قلبه كله غل وكل حاجة بيعملها مدروسة ، انتوا فاكرين ان الكامريا صورتنى بالصدفة ، انا

اللى كنت بدور على مكانها عشان تتعرفوا عليا و تساعدونى ، هو مراقبنى و مراقب بيتى طول الوقت ، معرفش ازاى بيعرف كل حاجة قبل ما تحصل ، دة مش طبيعى انه يحصل ، مكنش ينفع اسلم نفسى كان هيقتل بنتى.
توقف (مراد) بالسيارة على احد جانبى الطريق وقال...
_انت تعرف هو مين ؟ قولنا شكله عامل ازاى ؟ بتتواصلوا ازاى ؟ اية اللى بيطلبه منك؟
نظر (حازم) الى خارج زجاج السيارة وقال...
_انت وقفت ليه ؟ احنا هنا فى خطر ، اتحرك بالعربية بسرعة.
نظر (مراد) اليه مباشرة وقال...
_متخفش يا حازم ، احنا هنحميك وهنرجعلك بنتك ، اتكلم.
ظل (حازم) ينظر ويتلفت حول نفسه وهو يقول بخوف...
_انت مش عارف حاجة ، دة شيطان ، ارجوك اتحرك من هنا ، انا حاسس بيه قريب.
مع الالحاح المتواصل من الضابطين قال (حازم) وهو مازال يرتجف...
_طلب منى اوصل جوابات وطلب منى اقتلك يا سراج باشا وانا نفذت كل حاجة واستغليت انى اضرب عليك النار والفت انتباهك بدل ما اقتلك عشان تبان عملية القبض عليا طبيعية ، بس هو زمانه عرف انا بفكر فى اية ، دة ممكن يقتل بنتى ، ممكن يقتل ملك ، انا كان لازم اقتلك ، كان لازم اقتلك عشان ملك تعيش.
ثم بدأ يبكى بقوة فحاول طمأنته (مراد) وقال...
_احنا هنرجعلك بنت ملك وهنحميك منه ، اوعدك.
نظر (حازم) الى (مراد) بعين دامعة وقال...
_الشيطان دايما سابق بخطوة ، يا اما هيموتنى يا هيموت ملك ، هو قالى كدة.
انهى كلماته متزامنا مع اقتراب شاحنة عملاقة خرجت عن المقابل الاخر ودخلت على طريقهم وهى تطلق (كلاكس) قوى واضاءة مرتفعة ، اقتربت بشدة وبرفقتها الموت يبتسم ويتأهب لحصد ثلاثة ارواح وقبل أن تصطدم بهم توقفت تماما بعد أن اصيب الثلاثة بحالة من الصدمة والفزع.
****
فى صباح اليوم التالى وجد رجال الشرطة جثة طفلة لم تتخطى ال١٠ مذبوحة فى مدخل العقار المقابل لسكن (حازم) وبعد التحريات تبين انها (ملك) ابنة



(حازم) ، توجه الضابطين الى مكان ارتكاب الجريمة و رأوا تلك الطفلة الصغيرة وقد قتلت بمنتهى القسوة ، الكثير من الجيران و من الصحفيين ورجال الاعلام يحاولون اخذ الصور ومن بين الجميع الكثير لمح (مراد) شخص ما يقف ويغطى رأسه ولا يظهر الا عينيه ينظر له مباشرة ، يعلم انه رأى تلك العينين من قبل ، دقق النظر وحاول اختراق الجمع الكبير بمساعدة من العساكر ولكنه كان قد اختفى.

(٩)

طرق الباب ثم فتح ودخل أمين شرطة ومن خلفه (حازم) وهو مقيد اليدين ، امر النقيب (مراد) بفك قيوده ثم اشار اليه أن يجلس ليبدأ فى اخذ اقواله فى تحقيق رسمى بصفته المشتبه به الاوحد فى تلك القضية المعقدة.
كانا قد اتفقا الاثنين (مراد) و (سراج) على عدم اخبار (حازم) بموت ابنته الا بعد الانتهاء من التحقيق حتى لا يتثنى لهم استخراج منه كل المعلومات التى يعرفها ، و على هذا الاساس تعامل الاثنين.
جلس (حازم) امام النقيب (سراج) وعلى الطرق الاخر يجلس (مراد) وبجانبه احد الامناء جاهز لتدوين كل ما يقال ، اخرج (مراد) علبة سجائر ثم اعطى واحدة الى (حازم) الذى رسم نصف ابتسامة سرعان ما اختفت بعد أن شعر بشيئ ما سيئ ظهرت اعراضه على وجهه وذهب فى تفكير اعاد له خوفه وفزعه ، قطع ذلك التفكير (مراد) قائلا....
_حازم !!!! ممكن تحكيلنا من البداية كل اللى تعرفة عن القاتل وامتى بدأ التواصل معاك واية الطلبات اللى طلبها منك؟
صمت (حازم) لبعض الوقت ثم قال...
_انا قلت كل حاجة اعرفها ليكم امبارح يا مراد باشا.
ابتسم (مراد) بشكل مصطنع وقال...
_دة تحقيق رسمى ومحتاجين نسمع منك كل اللى اتقال امبارح مع شوية اسئلة كمان لازم تجاوب عليها.
اخذ (حازم) نفس من السجارة ثم قال...
_انا مش هتكلم الا لما اطمن على ملك ، دة كان اتفاقنا ، ملك ترجع اقول على كل اللى عندى.
نظر الضابطين الى بعضهم ثم قال (سراج...(
_لازم نخلص التحقيق الاول وبعد كدة هنشوف موضوع ملك يا حازم.
انفعل (حازم) وارتفع صوته قائلا....
_ملك ترجع انا هتكلم ، انا مش هضحى ببنتى ، لازم تلحقوها ، لو عرف انى اتكلمت هيقتلها ، وهو اكيد زمانه عرف و.. و..
ثم صمت للحظات و تجهم وجهه ، اعاد الكلمات الاخيرة فى عقله وعلى لسانه بصوت خافت (و .. وقتلها و زمانه قتلها) ثم نظر الى النقيب (مراد) وقال...

_زمانه قتلها ، بنتى لازم تلقوها يا مراد باشا قبل ما يقتلها ، ابوس ايدك ، انا لازم اخرج من هنا.
ثم اندفع فى اتجاه الباب وفتحه ليمنعه الامناء والعساكر ويمسكوا به ثم يدخلوه الى المكتب مرة اخرى بالقوة ، ارتفع صوت النقيب (مراد) قائلا...
_سيبوه واقفلوا الباب واطلعوا برة.
فعلوا ما طلب منهم ، تحرك النقيب (مراد) من خلف مكتبه ثم اتجه الى (حازم) ووضع يده على كتفه وقال...
_حازم ، احنا وصلنا لملك بس.
ارتعش جسد (حازم) وقال...
_بس اية ؟ بس اية يا مراد باشا ..ابوس ايدك قولى مهما كان اللى حصل.
دمعت عين (حازم) وتأهب للكلمة التالية ، اكمل (مراد...(
_انا كنت مش عايز اعرفك حاجة دلوقتى ،بس اعتقد ان من حقك تعرف ، انت ابوها ، ملك ماتت.
كمن تفجر قلبه داخل صدره واصيب عموده الفقرى بشلل و اضطربت جوارحه فأصبح سكيرا مغيب وكأن روحه انفصلت عن جسده ، لم يقوى على الجلوس ولم تحمله قدمه ، اصبح يتلوى كمن القى به فى النار عنوة ، عقد لسانه و ضاق نفسه ثم الم الصمت بكل جوارحه ، اجلسوه لكنه لم يعبأ فلا راحة له ولا فرح ، الظلام ولا شيئ سواه.
استمر النقيبان فى طرح الاسئلة عليه لنصف ساعة من دون رد ، فقط الصمت ولا شيئ سواه ، عين دامعه ولسان يتحدث بكلمات هامسه من اثر الصدمة ، قرر (مراد) تأجيل التحقيق معه حتى يهدأ ، امر احد الامناء من اخذه الى مكان احتجازه ، اراد الامين ان يقيده فأشار له (مراد) أن لا يفعل.
امسك به الامين وخرج بعد أن ادى التحية العسكرية ثم خرج واغلق الباب خلفه ، ظل الصمت يخيم عليهم ، اراد (سراج) أن يتحدث لكن دوى صوت طلقة نارية قريبة من المكان ، هرول النقيب (مراد) الى الخارج ومن خلفه (سراج) فوجدوا جسد (حازم) ملقى ارضا والدماء تسيل منه كنهر جار وهو ممسك بسلاح نارى فى يده ، ظهرت معالم الصدمة على الاثنين وبدأ يتحدث الامين ساردا لم حدث وهو يقول...

_سحب السلاح من جنبى بسرعة ، افتكرته عاوز يهرب وقبل ما اعمل حاجة فتح بقه ومسك المسدس و قال (سامحينى يا ملك) وحط المسدس فى بقه وضرب نفسه بالنار ، انا ملحقتش اعمل حاجة ، والله دة اللى حصل يا باشا.
****
دفن جثمان الاب بجانب جثمان ابنته قهرا ووقف الشيطان مبتسما وسط المشيعين للجنازة ، ضاقت الصدور واختفت الشمس بين ثنايا الظلام ، اريقت الدماء انهارا و زهقت الارواح افواجا و انهمرت الدموع حزنا و اغلقت كل طرق المنطق فى اوجه الجميع ، لا سبيل الان سوى التراجع أو الاستسلام ، فما يحدث هنا فاق كل مراحل الالم ، اكتفى الجميع ولم يكتفى الشيطان.
لوهلة احس النقيب (مراد) أن كل من حوله يحملونه المسؤلية كاملة ، يكرهون تواجده ، يشعرون انه مندوب الشيطان نفسه وأن رؤيته لاحدهم تعنى شر محدق به أو بمن يحب ، ووسط كل تلك الاعين الناظرة شعر باحدهم يقف بجانبه وهو ممسك بسلاح نارى يهدده به وقال بصوت شعر انه سمعه من قبل...
_امسك الجواب ده ومتحاولش تمشى ورايا وصدقنى انا مش اللى بتدور عليه ، انا مضطر اعمل ده ، معنديش اى حل تانى والا هحصل حازم وولادى هيحصلوا بنته.
مد ذلك الشخص يده بجواب فأمسك به (مراد) وقبل أن يتفوه بكلمه كان قد اختفى ذلك الشخص وسط العدد الكبير الذى اتى مشيعا ل(حازم) وابتنه ، التفت (مراد) حوله ولم يحاول البحث عن ذلك الشخص لكنه اكتفى أن يقرأ الجواب ، تحرك بعيدا عن المقابر ثم فتح الجواب وهو يشعر برهبة لم يشعر بها من قبل ، هناك ورقة وصورة ، نظر الى الصورة فوجدها مطابقة لمسكنه ، لقد اقتحم القاتل بيته وصور حجرة المكتب الخاصة به ، استشاط غضبا ثم فتح الورقة ليجد مكتوب بداخلها (جميعهم قرابين للشيطان و أنت القربان الاخير.(
****
رنين الهاتف يتعالى تدريجيا ، افاق النقيب (مراد) من النوم ليجد انه ممسك بسلاحه النارى ويبدو انه نام وهو ممسك بالسلاح وبكامل هندامه ، اعتدل وبحث عن الهاتف داخل ملابسه حتى عثر عليه ، نظر الى شاشة الهاتف لتبين هوية المتصل ليجده النقيب (سراج) ، قبل أن يجيب صمت الهتف فوقف وتركه اعلى الفراش وتوجه الى دورة المياة ، خلع جميع ملابسه ووقف اسفل المياة يفكر ، جعل المياة الدافئة تنساب فوق جسده المنهك وعقله المرهق ، اغمض

عينه فرأى جميع من قتلوا يقفون امامه ويشرون اليه ، فزع وفتح عنيه ، لوهلة اعتقد انه رأى احد ما يقف وسط بخار الماء الكثيف ، اغلق تدفق المياة و ارتدى ملابسه ثم خرج وهو يسمع صوت رنين هاتفه الجوال ، ظل يبحث عنه فلم يجده لكنه يسمع صوته قداما من خارج الغرفة ، اتجه الى الصالة فوجده اعلى منضدة ، احس أن عقله يتلاعب به ، اجاب على المتصل ليجد صوت سراج يقول له...
_مراد انت فين من الصبح ، فى جريمة قتل جديدة حصلت بنفس المواصفات ، بحاول اتصل بيك من بدرى ، هبعتلك لوكيشين لازم تيجى حالا.
قربنان أخير (الحلقة العاشرة والاخيرة...(
10.....
الخيالات مازالت تضرب رأسه بقوة حتى كادت تتسبب فى حادث مرورى له وهو يقود ، يرى اوجه من قتلوا ، يرى شخص ما يقف بينهم ويحمل سكين ، تلك القضية عصفت بذهنه و افقدته اتزانه ، لابد من ضبط النفس ، هكذا حدث نفسه ، لابد من التركيز ، ففى اللحظة التى تعتقد انك فقدت زمام الامور هى اللحظة التى ينقلب فيها كل شيئ لصالحك ، عليك أن تتماسك لعدة ايام اخرى ، فقط عدة ايام اضافية وستتمكن من حل تلك المعضلة التى المت بالجميع واودت بحياة الكثير حتى الان.
يافطة ذهبية معلقة اعلى باب شقة كتب عليها بخط واضح (الدكتور /مجدى كرم الطبيب النفسي) ، الكثير من راجل الشرطة والبحث الجنائي يحيطون بالمكان وينتشرون فى جميع البقاع ، دلف النقيب (مراد) الى الشقة وتحرك بخطوات سريعة حتى وصل الى النقيب (سراج) الواقف امام جثمان الطبيب (مجدى) وهو ينظر الى الطبيب الشرعي وهو يعاين الجثة ، فور ان شعر بوجود (مراد) قال...
_نفس الحكاية يا مراد ، اداة الجريمة مش موجودة ، المعاينة المبدأية للطبيب الشرعي بتقول انه القاتل استخدم ايدة الشمال و كالعادة احنا قدام لغز جديد فى اللعبة اللى مبتخلصش دى.
تنهد (مراد) ثم نظر الى السكرتيرة التى اكتشفت حداثة القتل وبلغت على الفور وقال...
_اتكلمت مع السكرتيرة ؟
قال (سراج) بنفاز صبر....

_اتكلمت معاها واخدت منها كشف شامل بكل المرضى اللى بيتعالجوا عند الدكتور ، فرغت الكاميرات ومعايا على فلاشة ، وكالعادة يا مراد مش هنوصل لحاجة.
نظر (مراد) الى زميلة وقال بلوم...
_مالك يا سراج ؟ بتتكلم كدة لية؟
انفعل (سراج) وارتفع صوته وقال...
_مالى اية يا اخى ، انت عارف دى الجريمة رقم كام فى نفس القضية ، احنا بيتلعب بين الكورة يا مراد.
ثم صمت ونظر حوله فوجد الجميع ينظرون اليهم فى تعجب ، امسك بزراع (مراد) وتحرك به حتى وصل الى مكان خالى وقال...
_مراد انا بصراحة هكلم العقيد (مجدى عابد) وهقوله انى مش هكمل فى القضية دى ، انا تعبت ومحتاج استريح ، وبجد انت كمان لازم تعمل كدة ، خلية يجيب اتنين تانين بدالنا قبل ما نتنقل غصب عنا.
قال تلك الكلمات ثم اعطى (مراد) الكشف و الفلاشة ، استوقفه (مراد) وقال...
_انت رايح فين يا سراج؟ دة مش وقت اننا نستسلم ونرجع ، فى ناس كتير ماتت ولازم نجيب حقهم.
اقترب (سراج) من (مراد) وقال...
_وانا كمان عندى اسرة اخاف عليها ، لو انت معندكش عيال وزوجة فانا عندى.
قال تلك الكلمات فرأى الاسى فى عين (مراد) يبدو انه اخطأ فيما قال وذكره انه فقد (زوجته وطفله اثناء عمليه الولادة وظل وحيدا من وقتها) ، امسك بكتف (مراد) وقال...
_انا اسف يا مراد ، انا مقصدتش اضايقك بكلامى ، انت عارف انا بعزك قد اية ،بس انا مراتى وصلها جواب تهديد ، القاتل دخل بيتى رغم الحراسة اللى عليه ، انا مش حمل خسارة ذى دى.
اومأ (مراد) برأسه دليلا على الموافقة وقال...
_عندك حق يا سراج ، انت عندك حق ، انا هكمل لوحدى ، روح انت دلوقتى خليك جنب مراتك وولادك ، انا مش زعلان منك.
مسح (سراج) على وجهه وظل ينظر الى (مراد) ثم تركه وغادر المكان ، جلس (مراد) على اقرب كرسى بجانبه واخذ يتذكر زوجته وتلك الايام المبهجة التى

عاشاها سويا ، كان كل شيئ مكتمل للغاية او اقرب الى الكمال ، لم يكن يتوقع أن يفقدها وما زاد الامور سوءا فقده لابنه ايضا ، كل شيئ تحول من الابيض الى الاسود فى دقائق معدودة ، عندما دفن الاثنين سويا دفن معهم كل طموحاته وسعادته وفضل الانعزال ، صب كل تركيزة وجهده واهتمامه على العمل لذلك اصبح من اكفأ الضباط فى جيله ، والان لن يتراجع وان تراجع الجميع ، الامر اصبح ثأر شخصي اكثر منه اداء واجب وظيفي.

****

دخل النقيب (مراد) الى مكتبه مندفعا وظل ينزع الصور المعلقة على الحائط حتى اصبح خاليا تماما ، وضع كل الصور داخل صندوق ومعهم كل ملفات القضية الا اخر ملف والذى يعود الى الضحية الاخيرة الطبيب النفسى (مجدى كرم) لو هلة احس ان تلك المرة سيجد الحل ، فقط عليه ان يبحث بدقة اكبر ، هناك شيئ ما مفقود لكنه كان امام ناظره طوال الوقت ، احضر الكشف وظل يتفقده ، مرة تلو الاخرى ، ساعات تمر من دون شعور او كلل منه ، اجرى الكثير من الاحتمالات ، واخذ يستبعد واحدا بعد الاخر ، مازال هناك امر ما مريب او خاطئ ، مازال هناك ركن مظلم يجب اقتحامه ، هاتفه يرن بقوة ، اسم العقيد (مجدى) ظهر على شاشة الهاتف ، اجاب على عجالة ليجد صوت العقيد عبر الهاتف يقول...

_مراد ، سراج كلمنى وانسحب من القضية ، انا شايف انك تعمل زية انا معنديش مشكلة معاكم فى اى حاجة ، انتوا عملتوا اللى عليكوا ، انا عذرته لما شرحلى خوفه على اسرته واديته اجازة لحد ما نحاول نحل القضية دى ، فى اتنين ضباط جاهزين يستلموا منك ملفات القضية لما تكون جاهز ، خد اجازة ريح فيها اعصابك انت محتاج دة يا مراد.

اغمض (مراد) عينه فى حنق وقال...

_انا مش هسيب القضية دى يا فندم الا لو ميت ، حتى لو هتكون اخر قضية ليا فى الوزارة انا مش هسيبها ، ارجوك يا فندم انا قربت اوصل للقاتل ، ٤٨ ساعة بس واكون حليتها ..٤٨ ساعة بس.

صوت الصمت يخيم على الاجواء ثم اتى صوت العقيد (مجدى) قائلا...

_48 ساعة بس يا مراد وبعد كدة هتاخد اجازة اجبارى وهتسلم القضية بمزاجك او غصب عنك.

اخذ (مراد) نفسا وقال...

_شكرا يا فندم.
اغلق الهاتف وبدأ فى مشاهدة التسجيلات الخاصة بعيادة الطبيب النفسى (مجدى) ، ظل يراجع حتى اسبوع مضى وبالطبع لم يجد شيئ مفيد حتى وقت قتل الطبيب لم يظهر من الجاني اى ملامح سوى انه يرتدى السواد ، فقط عينيه هى من ظهرت وهو ينظر الى الكاميرا لجزء من الثانية ، (اللعنة) قالها (مراد) عندما اعاد مشهد القتل اكثر من مرة ، انه قاتل قاسى للغاية ، بيتخدم السكين بمهارة ، متمرس وقوى وسريع ، تلك العينين انا اعرفها جيدا ، لقد رأيتها من قبل ، اعلم جيدا انى رأيتها.
مر الليل وبدأت الشمس فى الشروق وهو مازال يراجع كافة التسجيلات حتى استوقفه احد ما يعرفه ، انه (سالم توفيق قاسم) ابن اخو الضحية الاولى (هارون قاسم العليلى) ، قال تلك الكلمات واخذ يعيد التسجيل مرات ومرات حتى تأكد انه هو وقبل أن يتصل بالضابط الذى يتولى حراسة من اجل احتجازة اخذ يبحث عن اى شيئ يربطه ببقية الضحايا ، ليس هناك مجال للصدفة ، هو ابن اخو الضحية الاولى ويذهب الى طبيب نفسى هو الضحية الاخيرة ، لا ليست صدفة.
اخذ يبحث داخل كل ملفات الضحايا و احضر ملف تحريات كامل عن (سالم) ، لقد كان مسافر لمدة عامين الى نفس البلد الخليجى التى كان بها الضحية الثالثة (خالد) هل كان على علاقة به و هكذا فكر.
لمعت فكرة القيت الى عقله أن يبحث عن طريق مواقع التواصل الاجتماعى لعلة يجد شيئ ، بعد عدة ساعات تمكن من الوصول الى معظم حسابات الضحايا ومنهم (سماح) التى تبين انها كانت مخطوبة ل(سالم) منذ بضع سنوات ، لا ليست مصادفة ، الامور تنكشف جلية الان ، انه كان على علاقة ب٣ من الضحايا حتى الان ، اخرج هاتفه سريعا واتصل بالضابط المكلف بحراسة (سالم) واخبرة ان يتأكد من وجودة وبالفعل تأكد انه موجود فى المنزل فامر الضابط أن لا يسمح له بالخروج.
عاد مرة اخرى يبحث فوجد انه كان فى صور حفل افتتاح احدى القرى السياحية مع احد الضحايا (سعيد) الذى كان يعمل مقاول ، لا مجال للشك الان انه على علاقة ب٤ ضحايا ، ارتدى سترته واخذ سلاحة النارى واتصل بالعقيد (مجدى) واخبرة بالمستجدات وانه توصل الى القاتل الذى كان امام ناظرهم طوال الوقت لكنه كان يتلاعب بالجميع وان تلك الادلة كافية لادانته.

اتجه النقيب (مراد) الى منزل (سالم) مباشرة واخذ معه قوة كبيرة ، اقتحم المنزل فوجده جالس من دون حراك واضعا قدما على الاخرى وعلى وجهه ابتسامة لا مبرر لها ، اخرج (مراد) سلاحة واقترب منه فى بطء فقال (سالم...(
_مفيش داعى للقوة يا مراد باشا ، انا كنت مستنيك من بدرى ، بس يا اخى الغريبة انك اتأخرت اوى ، كنت فاكرك اذكى من كدة ، بس يلا نصيبى طول عمرة كدة.
لم يتوقع (مراد) ردة الفعل الغريبة وتلك الطريقة التى يتحدث بها لكنه يبدو خطير للغاية رغم هدوءه ، انه قاتل فائق الذكاء والهدوء ويبدو انه مازال يمتلك الكثير من الحيل ، اصدر (سالم) ضحكة وقال...
_انا لو كنت عايز اهرب كنت هربت من بدرى ، حتى اسأل حضرة الظابط ، انا طول الوقت قاعد فى البيت متحركتش وكل ما يطلع يطمن عليا يلاقينى ، مش كدة ولا اية يا ادهم باشا؟ مش غريبة دى رغم ان فى جرايم قتل كتير حصلت وانا هنا ، صعبانين عليا اوى.
ثم مال بجسده الى الامام قليلا واختفت بسمته وقال...
_انا لو عليا كنت قتلتك من بدرى بس هو اختارك تكون الاخير ٬ هو عاوزيك قربان أخير ليه.
ثم اكمل ضحكاته التى توحى بأنه غير طبيعي بالمرة ، اقترب منه (مراد) بحرص واوقفة ثم وضع القيود بيدة وترك العساكر يقوده الى سيارة الشرطة بينما هو توجه مباشرة الى مكتبة و اخبر قائدة بما حدث.
مازالت القيود فى يده وهو واقف مقابلا للمكتب الذى يجلس خلفه النقيب (مراد) وهناك امين شركة يجلس ويدون كل شيئ يقال وهناك كاميرا وضعت لتسجل كل شيئ سيحدث فى التحقيق لان تلك القضية اصبحت قضية رأى عام ، مزالت الابتسامة ترتسم على وجهه لكن نظراته ل(مراد) لم تكن طبيعية ، تحمل الكثير من الغل والكره ، بها نار مستعرة لا يعلم سببها.
قال مراد بادئا للتحقيق بشكله الرسمى...
_اسمك وسنك ومهنتك ؟
اصدر (سالم) ضحكة وقال...
_ممل اوى اللى بنعمله دة ، انت عارف عنى كل المعلومات وممكن تكتبها او تقولها بنفسك.
تمالك (مراد) اعصابه وقال للامين...

_اكتب البيانات اللى عندك فى البطاقة.
ثم نظر مرة اخرى الى (سالم) وقال...
_قتلتهم لية يا سالم؟
تغيرت ملامح سالم للجدية وقال...
_اللى اطلب منى عملته.
قال (مراد...(
_وضح اكتر؟
نظر (سالم) حوله وقال...
_ممكن اقعد ؟، انا بقالى كتير واقف.
انفعل (مراد) وقال...
_مش هتقعد وجاوب على السؤال.
ابتسم (سالم) وقال...
_انا مجرد رسول يا مراد باشا ، اداه فى ايد الشيطان ، بنفذ اوامره وطلباته.
كاد الغضب ان يخرج (مراد) عن هدوءة لكنه تمالك نفسه وقال...
_الشيطان هو اللى قالك تقتل؟
اومأ سالم برأسة دليلا على الموافقة وقال...
_صح ، بس مش قتل بالمعنى العادى ، امرنى ان اقدمله قرابين وانا قربت اخلص.
ابتسم (مراد) وقال...
_يعنى انت معترف انك قتلتهم؟
انفعل (سالم) بطريقة غريبة وقال..
_قرابين ، قرابين يا مراد...افهم.
صمت (مراد) قليلا ثم قال...
_قربت تخلص !! تقصد بيها اية؟
دوت ضحكة (سالم) فى الغرفة وقال...
_ناقص قربان يا مراد ، انا وصلتله رسالة وهو اكيد قراها.
عاد (مراد) بظهره الى الخلف وقال...
_فين اداة الجريمة يا سالم ، السكينة اللى كنت بتقتل بيها؟
اقترب (سالم) خطوتين الى الامام وقال...
_فى بيت القربان الاخير.

ثم ظل ينظر الى عين (مراد) بهدوء قاتل وقال...
_الشيطان دايما بيوصل للى هو عايزة فى النهاية يا مراد.
ارتفع صوت (مراد) وقال...
_انت عايز تفهمنى ان الشطيان هو اللى اختار الضحايا ؟ بس الغريب يا اخى انك كنت تعرفهم كلهم وليك ماضى معاهم ومشاكل كمان.
رفع (سالم) يدة الى اعلى وهو مازال مقيد واشار بعلامة النفى وقال...
_مش كلهم ، اعرف معظمهم ماشى بس مش كلهم ودة كان العهد.
بسرعة قال (مراد... (
_عهد اية؟
تراجع (سالم) للخلف وقال...
_انى انتقم من اللى قلل منى و وجعنى زمان واخرج سليم ، مقابل انى اقدمله القرابين اللى يطلبها....لو دورت وراهم يا مراد هتلاقى ان كلهم كانوا يستحقوا القتل..
انفعل (مراد) وقال...
_والبنت الصغيرة ذنبها اية؟
ارتفع صوت (سالم...(
_قربان.
وقف (مراد) وصاح...
_وحازم ابوها ذنبه اية؟
هدأ صوت (سالم) وقال...
_لا حازم مكنش قربان ، انا مقتلتوش ، هو اللى انتحر ، كان يستاهل الموت عشان غبى ، بس انا مقتلتوش.
تعرق جبين النقيب (مراد) وقال...
_لو كنت بتحاول تعمل فيها مجنون عشان تاخد حكم مخفف تبقى بتحلم ولو دة حصل انا هقتلك بايدى.
ابتسم (سالم) ولمعت عينه وقال...
_انا مش مجنون انا بقول الحقيقة ، ومتقلقش ان اللى هقتلك واخلصك من العذاب اللى انت فيه ، مراتك وحشتك مش كدة؟

خرج النقيب (مراد) عن شعورة ووقف واتجه الى الكاميرا واغلقها ثم هوى بالضرب على (سالم) الذى كلما تلقى لكمة تعالت ضحكته ، ظل يركله حتى تدخل رملائه من الضباط وابعدوه عنه.

****

بعد مرور شهرين حضر النقيب (مراد) جلسة الحكم على (سالم) ومعه (سراج) وكل اسر الضحايا ، جاء النطق بالحكم صادم حيث ان القاضي بناء على تقارير الاطباء النفسيين والعقليين الذين اثبتوا ن (سالم) مريض نفسى ويستحق العلاج فى احد المرافق التابعة لوزارة الداخلية المختصة بتلك الامور ، خاب ظن الجميع لكن يظل القانون قانون ، بكى من بكى ولكن ظلت عينين النقيب (مراد) معلقة بعينين (سالم) الذى كان مبتسما طوال الجلسة.

وضع داخل غرفة عزل فى منشأة شديدة الحراسة و تأكدوا من مراقبته جيدا ، زاره النقيب (مراد) عدة مرات فوجده فى حالة يرثى لها ، اصبح يكلم نفسه دائما وكانه فقد عقله ولم يعد يتذكر اى شيئ ، اثبت الاطباء مع مرور الوقت ان به مرض نفسى يستحيل علاجه.

اغلقت القضية التى حيرت اكفأ ضباط الداخلية والتى راح ضحيتها الكثير من الابرياء وتبين ان (سالم) قد نشأ فى ظروف قاسية ومعاملة وحشية من عمه(هارون) وابناء عمه ثم بعد تخرجه وسفره تم الاستيلاء على امواله ورفده من قبل مديرة فى العمل (خالد) وعاد الى القاهرة مفلس تماما ، عمل بعدها فى عدة مواقع انشاء واثبت كفاءته وكون مبلغ مالى شارك به احد المقاولين (سعيد) الذى سرق امواله وتلاعب بالعقود ليخيب امله من جديد ثم بعد فترة علاج نفسى مع الطبيب (مجدى) تعرف على (سماح) التى ساعدته بعد ان علمت انه سيحصل على ورثه من عمه وتمت خطبتهم لكن بعد ان رفض عمه تسليم الورث له تركته ، ثم توالت الصدمات فى حياته حتى اصبح مريض نفسى يحتاج الى العلاج بشدة وعندما فشل الطبيب النفسى (مجدى) من معالجته و صارحه بذلك ، حدث له صدمه اخيرة جعلته اكثر مرضا واصبح يرى الكثير من الهلاوس وخيل له انه عقد عهد مع شيطان ما ونفذ من خلال تلك الفكرة انتقامه ، اغلقت القضية.

****

بعد مرور عام كامل افاق الرائد (مراد) على صوت هاتف يرن ، لقد حصل على ترقية يستحقها بعد أن فك طلاسم قضية مبهمة اجتاحت الرأى العام ، اجاب

على الهاتف ليجد النقيب (سراج) يخبره أن هناك امر مريب قد حدث ويخبره أن يحضر فى الحال لتلك المنشأة الامنية التى احتزت بداخلها (سالم) والان هو طليق.
وصل الرائد (مراد) الى ذلك السجن شديد الحراسة وتأكد أن (سالم) قد هرب ، راجع الكاميرات فلم يتبين كفيفه هروبه ،فقط انقطع التيار الكهربائى عن المبنى بالكامل وهو امر لا يحدث ابدا ثم عندما عاد بعدها بلحظات لم يكن هناك اى اثر ل (سالم) ، بحثوا عنه فى كل مكان ووضعوا حراسات مشددة على جميع الاسر التى فقدت ضحايا ويبدو ان ذلك الكابوس يأبى أن ينتهى.
بعد يوم طويل عاد (مراد) الى شقته فتح الاضاءة فوجد (سالم) يجلس واضع قدما على الاخرى وممسك بالسكين فى انتظارة ،يرتدى ذى اسود اشبه بالجلباب لديه غطاء رأس غريب الشكل ، اخرج (مراد) سلاحة النارى وقال...
_ارمى السكينة يا سالم ، انت هربت ازاى؟
ابتسم (سالم) وقال...
_انا مهربتش هو اللى خرجنى ، العهد لسه مكملش ، انت نسيت ولا اية؟
شد (مراد) اجزاء السلاح النارى ووجه فى اتجاه (سالم) وقبل أن يطلق لمعت عين (سالم) باللون الاحمر ، ارتعد (مراد) ووقع منه السلاح انحنى وقبل ان يمسك به وجد الكثير من الاشخاص الذين يرتدون ملابس سوداء وغطاء رأس ، اقترب منه احدهم ثم اذاح غطاء الرأس فوجد وجه اسود بشع بعينين حمراوين ، التفت مسرعا وحاول الهرب ليجد (سالم) فى وجه وقد مرر السكين ببطء على رقبته ، سقط جسده ارضا و اندفع الدماء من شراينه كالنهر الجارى ، وقبل أن ينتهى الامر رأى سالم يقترب من ذلك الكيان الاسود ويعطيه السكين فذبحه هو الاخر ليقع جثة هامدة بجانبه.
فى صباح اليوم التالى تم اكتشاف الجثتين وتولى التحقيق النقيب (سراج) بعد أن اقيمت مراسم الدفن للرائد (مراد) وتم دفنه بجانب زوجته وابنه ، بعد عدة ايام من التحقيقات المتواصله وصل جواب الى النقيب (سراج) امسك به وشعر بخوف وقبل أن يفتحه اغمض عينه وقد تملكه الخوف من أن يصبح هو القربان الاخير فى سلسلة جديدة يتحكم بها الشيطان نفسه .

النهاية.......